مجلة إسلامية شهرية

سبتمبر ٢٠٢٥م
ربيع الأول ١٤٤٧هـ

الإشراق

تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية

المشرف العام
جاويد أحمد غامدي

رئيس التحرير : د. محمد غطريف شهباز الندوي
المدير المسؤل : محمد حسن إلياس

"وهذا هو التوحيد الذى يبنى عليه دين الله، وهو البداية والنهاية، والظاهر والباطن لهذا الدين. وهذه هى الدعوة التى نادى بها جميع أنبياء الله، إبراهيم، وموسى، ويحيى، وعيسى عليهم السلام، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم. جميع الكتب السماوية نزلت حاملة لهذا التوحيد، ولا توجد درجة من التوحيد فوق هذا المستوى يمكن للإنسان أن يسعى لبلوغها فى هذه الدنيا. القرآن الكريم، من بدايته إلى نهايته، يبين هذا المفهوم بوضوح".

(من مقال "الإسلام والتصوّف" للأستاذ جاويد أحمد غامدى، صـ ٢٠)

مركز غامدي للتعلّم الإسلامي، المورد، أمريكا

"المورد": مؤسسة التعليم والبحث
الأهداف والمقاصد التأسيسية

المورد مؤسسة علمية متميزة، تنهض بأمانة التقاليد الفكرية الراسخة التي شكّلت معالم الحضارة الإسلامية عبر القرون. تأسست في مستهل القرن الخامس عشر الهجري[1] انطلاقًا من وعي عميق بأن مسار التفقه في الدين لم يعد يسير على الجادة السليمة. فقد أضحت الدعوة إلى الدين الخالص، المستندة إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، غريبة بين المسلمين، بعدما طغت العصبيات المذهبية وتفاقمت النزاعات السياسية التي صرفت الأنظار عن جوهر الدين وروحه.

لقد أصبح القرآن الكريم، الذي يعدّ أساس هذا الدين، مجرد كتاب للحفظ والتلاوة فحسب. وفي المدارس الدينية، غدت العلوم التي كان يفترض أن تكون وسائل للوصول إلى القرآن الكريم مقاصد في ذاتها. أما السنة النبوية، فقد فصلت عن أصولها في القرآن والسنة، وأفرغت من مضامينها الحقيقية، بينما انصبّ الجهد على مبادئ مدرسةٍ فكريةٍ بعينها، والسعي لإثبات تفوقها على غيرها من المدارس.

تأسست هذه المؤسسة، التي تحمل اسم "المورد"، استجابة لواقع ديني يتطلب إصلاحًا عميقًا وتقويمًا شاملًا. وانطلاقًا من هذا الوعي، جعلت المؤسسة من أولى أولوياتها السعي إلى ترسيخ الفهم الصحيح للدين، من خلال البحث العلمي، والتحقيق الرصين، والنقد المنهجي للانحرافات التي علقت به عبر العصور. كما التزمت بنشر هذا الفهم على أوسع نطاق ممكن، مستثمرة في ذلك شتى الوسائل المتاحة، مع العناية بتربية الناس وتعليمهم على ضوء هذا التصور الأصيل والمستنير للدين.

لتحقيق هذا الهدف، تم اتباع الأساليب التالية التي تعدّ من الركائز الأساسية

---

[1] شعبان ١٤٠٣هـ الموافق يونيو ١٩٨٣م.

لتحقيق المقصد:

١- الاهتمام بتذكير الناس بالقرآن على المستوى العالمي.

٢- تعليم الناس شريعة الله وفق القرآن والسنة، مع التركيز على تنمية الإيمان والأخلاق.

٣- إشراك العلماء والباحثين ذوي الفكر الصحيح في الدين كزملاء في المؤسسة، وتوفير كافة التسهيلات اللازمة لدعم أعمالهم العلمية، البحثية والدعوية.

٤- حث الناس على إقامة المؤسسات التي تدعم نشر العلم الديني الصحيح في مختلف المجالات، ومنها :

أ- إنشاء مدارس تعليمية تهدف إلى تخريج علماء وباحثين متبصرين في الدين وفق الفهم الصحيح.

ب- إقامة مدارس على مستوى عالٍ، مثل مدارس للمرحلتين المتوسطة والعليا التي تجمع بين التعليم الأكاديمي المتميز مرحلة الثانوية العامة وتنمية القدرات الإبداعية للطلاب، مع توفير التربية الدينية والثقافية.

ج- إقامة مدارس دينية أسبوعية للطلاب من المدارس العامة، حيث يتم تدريسهم القرآن الكريم بطريقة تؤصل في نفوسهم حب الدين، مما يجعلهم ثابتين في إيمانهم في المستقبل.

د- إنشاء زوايا (خانقاهات) يتردّد إليها الناس بين الحين والآخر، فيتركون مشاغلهم الدنيوية لبعض الوقت، ليستفيدوا من مجالسة العلماء والصالحين، ويتعلّموا منهم الدين، ويخلوا بأنفسهم أيّامًا معدودة يتفرّغون فيها للذكر والعبادة طلبًا لتزكية النفوس وتطهير القلوب والأبصار.

مجلة إسلامية شهرية

الإشراق

تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية

المجلد الأول | العدد الثامن | سبتمبر ٢٠٢٥م | ربيع الأول ١٤٤٧هـ

المشرف العام
جاويد أحمد غامدي

رئيس التحرير : د. محمد غطريف شهباز الندوي
المدير المسؤل : محمد حسن إلياس

هيئة التحرير
ريحان أحمد يوسفي، د. محمد عمار خان ناصر، محمد ذكوان الندوي
محمدعامركزدر، د.عرفان شهزاد، نعيم أحمد بلوش، عثمان فاروق

محتويات العدد

الشذرات

من رسائل الأدباء إلى مجلة "الإشراق" د. خورشيد رضوي/ الأديب محمد الشرقاوي ٧

إشراقة: لماذا لا تتوقف الحرب على غزة؟ رئيس التحرير ١٠

تحية وفاء منظومة لمجلة "الإشراق" عمر محمود ضوبع ١٨

الإسلام والتصوف (١) جاويد أحمد غامدي ١٩

البدعة في تحريم الحلال السيد منظور الحسن ٢٧

موقف الأستاذ غامدي من قضية نزول المسيح (٨) السيد منظور الحسن ٣٠

القرآنيات

البيان: البقرة؟ :٨٣-٩٠ (٨) جاويد أحمد غامدي ٣٣

المعارف النبوية

الأحاديث جاويد أحمد غامدي ٣٦

مقامات

مقطتف من "مقامات" (٧) جاويد أحمد غامدي ٣٧

مركز غامدي للتعلّم الإسلامي، المورد، أمريكا

شارع ن جوزي، المكتب رقم ٢٣٠ ٣٦٢٠
كارولتون، تكساس ٧٥٠٠٧، الولايات المتحدة الأمريكية
الهاتف: ٣٧٠-٥٠٨٣ (٩٧٢) +١

الموقع الإلكتروني
www.ghamidi.org/ishraqus

البريد الإلكتروني
info@ghamidi.org

الدين والمعرفة

مقطتف من "ميزان" (٧) — جاويد أحمد غامدي — ٤٥

آثار الصحابة

آثار أئمة أهل البيت عن الصحابة (١١) — أ. د/ محمد عمار خان ناصر — ٤٩

الدراسات والتحقيقات

انشقاق القمر: موقف الأستاذ غامدي (٦) — السيد منظور الحسن — ٥٨

دراسة سنن ابن ماجة (٧) — د. عمار خان ناصر/ د. مطيع سيد — ٦٣

تاريخ جمع وتدوين القرآن (دراسة نقدية) (٢) — الدكتور شهزاد سليم — ٦٨

دراسة نقدية لتفسير «مفتاح القرآن» (٥) — د. محمد غطريف شهباز الندوي — ٧٤

وجهات نظر

هل تأثّر النبي ﷺ بالسحر؟ — العلامة شبير أحمد أزهر/ د. غطريف شهباز الندوي — ٧٨

توافق علامات القيامة في الحديث النبوي (٣) — الدكتور محمد سعد سليم — ٨٣

المختارات

تحقيق ماجاء في سبب ورود قوله تعالى: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا (مقتطف من شرح البخاري) — الإمام المحدث شبير أحمد أزهر الميرتهي/ د. محمد غطريف شهباز الندوي — ٨٩

في باب التذكير

واسطة رحمة الله — الشيخ محمد ذكوان الندوي — ٩٦

قراءة في كتاب

ملامح من مجلد د غريب جمعة عن الإمام الأكبر محمد الخضر حسين شيخ الأزهر — الأديب محمد الشرقاوي — ٩٩

في السيرة

الشيخ السيد أبو الأعلى المودودي (٢) — الأستاذ محمد حسن إلياس — ١٠٥

حياة أمين (٧) — نعيم أحمد بلوش — ١١٠

الشعر والقريض

الشكوى وجواب الشكوى (٣) — العلامة الدكتور محمد إقبال/ صاوي علي شعلان المصري — ١١٤

رسالة إلى أبطال كشمير — الدكتور صلاح عدس — ١١٥
الأرجوزة السّميّة من الشمائل المحمّدية — عمر محمود ضوبع — ١٢٠
قصيدة في مدح الصحابة — الأستاذ برويز حاصل الندوي — ١٢٢

الأحداث

النشرة الإخبارية لمؤسسة "المورد أمريكا" — شاهد محمود — ١٢٣

الشذرات

من رسائل الأدباء إلى مجلّة "الإشراق"

إلى رئيس التحرير لمجلة "الإشراق" العربي

وعليكم السلام و رحمة الله و بركاته،

وبعد، فأهدي إليكم جزيل الشكر لإرسال نسخة من مجلة "الإشراق" العربية. و هذه أول مرة رأيتها في زيها العربي. وسرني ذلك و ما رأيت من ولعكم باللغة العربية وقدرتكم على التعبير العربي الجميل في أسلوب سليم خلاب.

وأستودعكم الله و أتمنى لكم كل خير.

الدكتور خورشيد رضوي*

(١٣ أغسطس ٢٠٢٥م)

---

* ولد الدكتور محمد خورشيد الحسن رضوي في ١٩ مايو ١٩٤٢م بمدينة أمروحه في الهند، ثم انتقل إلى باكستان بعد تقسيم الهند. هو الكاتب والمترجم والناقد والشاعر الباكستاني الشهير، وفارس الآداب واللغات الثلاث: الأردية والفارسية والعربية. عمل أستاذًا في قسم اللغة العربية بكلية في جامعة بنجاب - لاهور، وتقاعد في نفس الجامعة.

قام بترجمة كتاب الباحث التركي الشهير الدكتور فؤاد سزكين "محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية" إلى اللغة الأردية، تحت عنوان "تاریخ علوم میں تہذیب اسلامی کا مقام"، وذلك بإشراف معهد البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد. من مؤلفاته: *رائگاں*، *شاخ تنہا*، *سرابوں کے صدف*، *یکجا*، *پس نوشت*، تاليف (دواوين شعرية أردية). "الأدب العربي قبل الإسلام" وهو كتاب شامل باللغة الأردية لتاريخ الأدب العربي وتطوّره قبل الإسلام، تتناول الأدب العربي القديم والعوامل اللغوية والجغرافية

والاجتماعية التي شكّلت خلفيته، بالإضافة إلى تحليل معمّق لأسلوب حياة العرب القبلي، ومعتقداتهم وأوهامهم، وحروبهم. كما يضم الكتاب عرضًا مفصّلًا يبدأ من المباحث التمهيدية وصولًا إلى المعلقات السبع. منح عام ٢٠٠٨م "وسام ستارة الامتياز" من حكومة باكستان.

(الأستاذ عثمان فاروق)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

سماحة العالم الدكتور محمد غطريف شهباز الندوي رئيس تحرير مجلة الإشراق العربي!

يسرني أن أرسل إليكم أرق تحياتي المحملة بأسمى العطور وأجمل معاني المودة والتقدير،

إنه من دواعي الفخر والسرور أن نتابع وبكل شغف وشوق مجلة الإشراق الغراء الناصعة التي تتميز بوضوح الرؤية ونبل الأهداف التي تخدم أمتنا الإسلامية الكبيرة في ظل هذه الظروف العالمية المتوترة خاصة في المنطقة العربية حيث أهم قضية تعيشها الأمة وهي قضية غزة وفلسطين عامة وما نراه من هجمات صهيونية مدعومة بكل قوة من دول الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك تناولت المجلة عددا من المقالات التي لا غنى عنها لكل مسلم يسعى لفهم دينه فهما صحيحا حتى غير المسلم يمكنه الاستفادة من هذه المقالات الداعمة لخير الإنسانية عامة، وأشيد بالتنوع في اختيار العناوين والقامات العلمية والأدبية واللغة الراقية الرصينة التي تجيدها الأقلام المشاركة حتى المقالات المترجمة عن اللغة الأردية تعبر عن فهم عميق وإدراك واع للهدف من المقالات الأصلية.

إن مجلة الإشراق تؤدي دورا عظيما في خدمة الدين والأمة الإسلامية وتشير بكل قوة إلى حضارة الإسلام ونظرته للسلام والأمن العالميين، كما تشير إلى ما تعانيه الأمة من ركود في مجالات كان من الأولى أن تتمسك بقيادتها لها وكذلك عدم الاجتهاد في أمور الدين والاعتماد الكلي على أراء السلف دون النظر أحيانا

إلى مستجدات الواقع.

لقد أثبتت مجلة الإشراق أنها مؤثرة بقوة في الساحة الفكرية الإسلامية والعالمية وستظل هكذا إن شاء الله تعالى بفضل الله أولا ثم بقيادة الرشيدة الواعية سماحة العالم الكبير والباحث المتميز الأستاذ جاويد أحمد غامدي.

خالص الأمنيات بدوام التوفيق والنجاح

الأديب محمد الشرقاوي

(٣٠ يوليو ٢٠٢٥م)

د. محمد غطريف شهباز الندوي

إشراقة

لماذا لا تتوقف الحرب على غزة؟

(قراءة واقعية بعيدًا عن الشعارات، موجهة لشباب الأمة وصرخة دامعة خرجت من القلب)

منذ أكتوبر ٢٠٢٣ وحتى صيف ٢٠٢٥ م المنصرم ودماء غزة لا تتوقف. الناس يموتون جوعًا، قصفًا، وأحيانًا بصمت في ظلال النسيان العربي والدولي. لكن السؤال الحقيقي: لماذا لا يتم التوصل إلى وقف إطلاق نار دائم وسط إعلانات كثيرة من الرئيس الأمريكي عن ذلك؟

تبدو الإجابة بظاهرالحال معقدة، لكن الواضحة لمن يراقب الصورة ببصيرة كاشفة وعين مفتوح، هي أن إسرائيل اليوم قد أصبحت في ذاتها دولة إمبرالية تحلم أن تكون دولة إسرائيل الكبري ولاتحتاج إلى الغرب أو الأمريكا في تحقيق حلمها، لأن الدول العربية المتجاورة لاتتصدى لها ولاتصدها عن موقفها هذا المتغطرس ،وأن القضية الفلسطينية، وبالأخص غزة، لم تعد فقط ساحة صراع بين المقاومة الفلسطينية وجيش الاحتلال، بل تحولت إلى رقعة شطرنج دولية، ومجال مساومة بين قوى كبرى وأنظمة عربية فقدت البوصلة.

١ - نتنياهو لا يريد الحرب أن تنتهي

رئيس وزراء الاحتلال الإسرائيلي الطاغية بنيامين نتنياهو (يصف الكتاب المقدس هذا الإسم بذئب ضاري ،كتاب التكوين، باب ٤٩: ٢٧) يعلم أن وجوده

السياسي على المحك بسبب قضايا فساد ومحاكم واحتجاجات داخلية. ما الذي يمكن أن ينقذه؟ إشعال حرب واستمرارها تحت غطاء "أمن إسرائيل". كلما طالت الحرب، كلما بقي في السلطة.

٢- أمريكا- حليفة أعمى لإسرائيل

الولايات المتحدة، بدل أن تكون وسيطًا نزيهًا، أصبحت وخاصة في عهد الرئيس الحالي دونالد ترمب،"وحدة دعم لوجستي سياسي منقطع النظير" لإسرائيل. كل مشروع قرار لوقف إطلاق النار في مجلس الأمن يواجهه فيتو أمريكي. كل محاولات إنقاذ إنسانية تفشلها اتهامات لحماس وعرقلة. حتى المحكمة الجنائية الدولية هُددت فقط لأنها اقتربت من مساءلة مجرمي الحرب فمدعيها العالم كريم خان يوجه إليه التهديدات والستة من قضاتها يواجهون العقوبات من طرف أمريكا.

٣- العالم العربي والإسلامي: بئسَ السكوت وصمت الموت

غالبية الدول العربية، من الخليج إلى وادي النيل، تتعامل مع غزة كأنها "ملف مزعج" يُفضل نسيانه. لا خطة حقيقية، لا ضغوط دولية، لا دعم ميداني، فقط بيانات شجب وإدانات مجوفة ووساطات رمزية. فبعضهم – كالإمارات – في حضن التطبيع الكامل، والبعض الآخر – كالسعودية ما بعد النفط – غارق في طموحات اقتصادية تريليونية، أما مصرالعزيزة -دولة رسالة التجديد في العالم العربي المعاصر- فمشغولة بإغلاق معبر رفح بأوامر عليا.حتى شيخ الأزهر، الذي تجرأ وأصدر فتوى لدعم غزة، أُجبر لاحقًا على التراجع تحت ضغط النظام.

٤ - مفاوضات؟ ورقة مساومة

في ٢٥ من يوليو ٢٠٢٥، انهارت مفاوضات وقف إطلاق النار في الدوحة، والسبب؟ عناد أمريكي/ إسرائيلي في فرض شروط استسلام لا شروط تهدئة. حماس وافقت على أغلب البنود، لكن طالبت بتعديلات إنسانية بسيطة، فتم اتهامها بأنها تريد الموت، وتم سحب الوفد الأميركي! هذا لم يكن فشلًا دبلوماسيًا بل تكتيك ضغط وقح لإجبار المقاومة على الانهيار الكامل.

٥- الكارثة الإنسانية... من يهتم؟

في غزة، الواقع أسوأ من الكوابيس:

- ملايين بلا ماء، ولا غذاء، ولا كهرباء
- الأطفال يموتون جوعًا
- أكثر من ٦,٠٠٠ شاحنة مساعدات متوقفة على المعابر
- وكالة إغاثية عاملة في الفلسطين للأمم المتحدة (أونروا) ممنوعة من العمل بحجج أمنية واهية
- الهيئة البديلة التي أقامها الأمريكيون (GHA) تتحول إلى فخ قناصة يُقتل فيه كل من يذهب لأخذ المساعدات.

٦- حماس = حجة لإبادة شعب

الهدف الحقيقي لإسرائيل لم يكن يومًا فقط "تحرير الرهائن"، بل مشروع تصفية شامل لحماس، تمهيدًا لـ"حسم الصراع" عبر استئصال جذور المقاومة. لكنهم ينسون أن حماس فكرة، لا فقط تنظيم. وأفكار المقاومة لا تُقتل.

٧- في الداخل الإسرائيلي... أصوات تهمس

حتى داخل إسرائيل، بعض الجنرالات والسياسيين (مثل رئيسا الوزراء الأسبقين باراك وأولمرت) يعارضون استمرار الحرب، وخاصة عائلات المحتجزين الإسرائيلين الذي يحتجون اليوم في شوارع تل أبيب، لأن الأهداف غير واقعية، والنتائج كارثية على إسرائيل نفسها. لكن الرأي العام الإسرائيلي مأسور إعلاميًا، ويميل أكثر نحو التطرف.

يجب الآن إطلاق حركة شعبية عالمية لدعم فلسطين، تكون سلمية الطابع، وتُوظِّف كل الوسائل الحديثة لتوصيل الموقف الفلسطيني العادل إلى شعوب العالم. والحقيقة أن هذه الحركة قد انطلقت بالفعل من أوساط الطلاب والأساتذة الجامعيين والناشطين في مختلف بلدان العالم، وكل ما تحتاج إليه الآن هو التوجيه الصحيح والمستمر.

أما الحركات المقاومة، فقد صار من الضروري أن تعيد النظر في استراتيجياتها. يخطر في الذهن هنا تساؤل مهم: ماذا لو أن المقاومة المسلحة نفسها كانت قد بدأت داخل الأراضي المحتلة في إسرائيل، وليس في غزة؟ ربّما لم يكن الاحتلال ليستطيع تدمير غزة بهذا الشكل الوحشي الهمجي!

كذلك، يجب على الفلسطينيين أنفسهم توحيد صفوفهم. من المؤسف أنهم،

كجماعة قومية، لم يستفيدوا من دروس تاريخهم الدامي كما ينبغي.

فالتاريخ يُظهِر لنا أنه عندما قررت بريطانيا إنهاء انتدابها على فلسطين، سلّحت العصابات الصهيونية بأحدث الأسلحة ودرّبتها عسكرياً. كانت هذه العصابات تضم حوالي ستين ألف مقاتل، مجهزين بجميع أنواع الأسلحة والتكتيكات العسكرية. كانوا يشنون هجمات منظمة على قرى الفلسطينيين وبُلدانهم. في المقابل، كان الفلسطينيون يدافعون عن قراهم بشكل عشوائي ومُتفرق؛ في قرية ما، قد تجد عشرة رجال بأسلحة قديمة يحاولون صدّ الهجوم، وفي أخرى خمسة عشر فقط.

النتيجة كانت كارثية :عندما بدأت القوات الصهيونية هجماتها الممنهجة، لم يكن لدى الفلسطينيين أي قدرة على الدفاع المنظم، واضطر الملايين منهم إلى ترك قراهم وبلداتهم ومزارعهم. واليوم، ها نحن أمام الجيل الثالث من هؤلاء اللاجئين، منتشرين في مختلف دول العالم، وفي غزة، وفي دول الجوار.

والأدهى من ذلك أن الانقسام بين حماس وفتح لا يزال مستمراً! وكأن التاريخ لم يعلّمهم شيئاً! وحتى السلطة الفلسطينية، التي يُفترض بها أن تكون مسؤولة عن وحدة القرار، تبدو غير معنية بهذا التمزق.

ثم، من أين ظهرت هذه المليشيات المسلحة التابعة لياسر أبو الشباب، حليف نتنياهو المرتزق! هل الأمر مجرد مصادفة؟ أم أن هناك خططاً خفية لإغراق المشهد الفلسطيني بمزيد من الفوضى والانقسام؟

وتم أخيراً انعقاد مؤتمرحل الدولتين من جهود مشتركة من المملكة العربية السعودية ودولة فرنسا وخرج المؤتمربإعلان نيويورك. ويثارهناك سوال :هذا الإعلان هل هو استعادة مسار الدولة الفلسطينية أم تسويق للوهم؟

ففي الحقيقة إن إعلان نيويورك حول حل الدولتين يحشد دعما دوليا رمزيا لقضية فلسطين، لكنه كمايقول الكاتب الدكتورمحسن محمد صالح "يفتقر لآليات التنفيذ، ويقصي المقاومة، مما يجعله تكرارا لمسار أوسلو الفاشل وتكريسا للهيمنة الإسرائيلية."

ونحن الآن أمام مشروع صهيوني خبيث وهو الاجتياح البري لكامل قطاع

غزة والقبضة عليها فهل يتم ذلك ؟دولة الاحتلال الجانية الجائرة قد أعلنته ونالت الضوء الأخضرمن ربتها وحاضنتها الطاغوت الدولي الكبيرالأمريكا- فأعلن مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو يوم الجمعة أن المجلس الوزاري الإسرائيلي المصغر وافق على مقترح السيطرة على مدينة غزة ضمن خطة أوسع لاحتلال القطاع بالكامل. والمقاومة من دورها أعلنت وتوعدت بإفشال الخطة الصهيونة الإجرامية هذه.والكيان الخبيث الآن قد بدأفعلاً هجومه البري والجوي من جديد على القطاع المنهوك رغم إدانات دولية وإسلامية كبيرة،لأنه بسبب التعاون الأميركي اللامحدود والأثيم يخال نفسه حرا ومفلتامن أي عقاب دولي أو محلي!

٨- الشباب العربي والإسلامي أين أنتم؟

السؤال الآن ليس عن الأنظمة، بل عن الشباب العربي والإسلامي. الجيل الجديد الذي نشأ في ظل ثورات، ومنصات سوشيال ميديا، ومع ذلك لا يزال صوته مهمشًا في قضية بحجم فلسطين.

هل نقبل أن نكون الجيل الذي اكتفى بالميمز، والهاشتاغات، والتعاطف الرقمي؟ أم نتحول إلى جيل يُعيد المعنى للمقاومة الفكرية، الاقتصادية، والسياسية، مقاطعة، توعية،ضغط شعبي، تحالفات شبابية؟ كل خيار على الطاولة إذا وُجدت الإرادة.

خلاصة: الطريق إلى وقف الحرب ليس في نيويورك أو الدوحة فقط، بل في عقلية الجيل القادم

غزة لن تُنقذها دموعنا، بل حركتنا. لن يوقف الحرب من يتربّح من استمرارها. الحل يبدأ عندما نقرر أن كرامة الإنسان لا تُقايض، وأن فلسطين ليست "قضية موسمية"، بل اختبار دائم لضمير هذه الأمة.

فهل ننجح حيث فشل مَن قبلنا؟ أم نضيف فشلًا جديدًا إلى قائمة الخذلان التاريخي؟

من أقسى الكلمات التي وردت في خطاب الملثم الحبيب أبي عبيدة المتحدث باسم كتائب القسام:

«وإننا نقول للتاريخ وبكل مرارة وألم وأمام كل أبناء أمتنا: يا قادة هذه الأمة الإسلامية والعربية، ويا نخبَها وأحزابَها الكبيرة وعلمَاءها، أنتم خصومنا أمام

الله، أنتم خصوم كل طفل يتيم وكل ثكلى، وكلِّ نازح ومشرّد ومكلوم وجريح ومجوَّع، إنّ رقابكم مثقلة بدماء عشرات الآلاف من الأبرياء الذين خُذلوا بصمتكم، وإنّ هذا العدو المجرم النازي لم يكن ليرتكب هذه الإبادة على مسمعكم ومرآكم إلا وقد أمن العقوبة وضمن الصمت واشترى الخذلان".

مؤشر خير

وسط هذا الدمار الهائل، والقتل، والتجويع، والصمت الدولي والإسلامي على جرائم الحرب التي ترتكبها دولة الاحتلال البغيض، يبقى لنا مؤشر خير وأمل واحد، وهو اعتراف ثلاثة أرباع دول العالم المعاصر بدولة فلسطين المستقلة، وهو اعتراف يتزايد يومًا بعد يوم. وهناك دول كثيرة تعتزم الاعتراف بها في سبتمبر القادم، الأمر الذي قد يؤدي، بإذن الله، إلى قيام كيان فلسطيني حرّ ومستقل.

الخيار في يد جيلكم

عبرَ هذا المقال التحليلي المتواضع الذي يرسم بوضوح صورة مركبة ومؤلمة للواقع الجيوسياسي والإنساني في غزة، ويفضح تناقضات المواقف الدولية والعربية بشكل صارخ، خاصةً في ظل التواطؤ الأميركي مع إسرائيل، والصمت العربي الرسمي، والانقسام الفلسطيني، أناديكم وأناشدكم أيهاالشباب العربي والإسلامي أن هبوا من نومكم العميق واسعوا سعياً حثيثاً في سبيل تحرير القدس المحتلة ولانقاذ غزة العزة المنكوبة الصابرة المثابرة!فهل هناك من مجيب!

في رحاب العدد الثامن

بحمد الله وفضله، نضع أمامكم العددالثامن من مجلة الإشراق، جادين على المسيرة التي بدأناها في خدمة الفكر والوعي، وماضين في تقديم مختارات مترجمة منا لنسخة الأردية للإشراق لعدد أغسطس ٢٠٢٥م، إلى جانب دراسات وتحليلات أصيلة تسعى إلى تعميق النظر وتوسيع الأفق. مضيفين إلى كل ذلك بعض الأبيات المختارة من منهل الشعرالعربي الرصين ورسائل مشجعة من القراء.

لقد التزمنا منذ انطلاقة المجلة بأن تكون منبرًا حرًا للفكر المسؤول، ومجالًا رحبًا للتأمل الرصين، تجمع بين صدق المقصد ودقة الطرح، وبين رصانة المحتوى وجِدّية التناول.

وإذ نقدّم هذا العدد، فإننا نفتح قلوبنا وصدورنا لملاحظات قرّائنا الكرام وآرائهم السديدة، فهي زادنا في درب التطوير، وعوننا على بلوغ التميّز.

نسأل الله أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع بها القرّاء والباحثين، وأن يكتب لها القبول في الأوساط العلمية والأدبية.

أخوكم في الدين،
أ. د/ محمد غطريف شهباز الندوي
(١٥ أغسطس ٢٠٢٥م، علي كره)

دعوة للكاتبين والباحثين للمشاركة في مجلة "الإشراق" العربي

تدعو مجلة "الإشراق" العربي الكاتبين والباحثين وأصحاب الأقلام المبدعة إلى المشاركة بأبحاثهم ومقالاتهم ودراساتهم في أعدادها القادمة، إسهاماً في إثراء الساحة الفكرية والأدبية، وخدمة للغة الضاد وثقافة الأمة الإسلامية.

تعنى المجلة بتسليط الضوء على القضايا الفكرية والدينية المعاصرة، في ضوء المنهج القرآني، ومقاصد الإسلام، والتجربة الإصلاحية المتزنة. كما تفتح صفحاتها لكل قلم ملتزم، يسعى إلى تقديم معرفة أصيلة، وتحليل عميق، بلغة عربية فصيحة وأسلوب رصين.

وتشمل محاور النشر – دون حصر – ما يلي:

١- الدراسات القرآنية والأحاديث النبوية
٢- التزكية والتربية
٣- الفكر الإسلامي المعاصر
٤- نقد التراث وتجديد الخطاب
٥- قضايا الأمة والنهضة الإسلامية
٦- الشعر والأدب
٧- ترجمات علمية هادفة من لغات أخرى إلى العربية

شروط النشر:

أ- أن تكون المادة أصيلة، غير منشورة سابقًا.

ب- الالتزام بمنهج البحث العلمي والأمانة الفكرية.

ج- سلامة اللغة والأسلوب.

د- أن ترسل بصيغة Word

ه- مع سيرة ذاتية مختصرة للكاتب.

✉ ترسل البحوث والدراسات على البريد الإلكتروني الآتي:

mohammad.ghitreef@gmail.com

usmanfarooq710@gmail.com

الشاعر: عمر محمود ضويع (سوريا)

تحيّة وفاء منظومة لمجلة "الإشراق"

في زمن أصبح فيه الوفاء عملة نادرة، يسعدنا في مجلة "الإشراق" أن نتلقى بين الحين والآخر كلمات صادقة تعبّر عن صدى هذه المجلة المباركة في قلوب قرائها ومحبّيها.

وقد تفضل شاعرنا الجليل السوري عمر محمود ضويع بإهدائنا هذه الأبيات الرفيعة، التي عبّر فيها عن مشاعره النبيلة تجاه مجلة "الإشراق" وهيئة تحريرها، مستلهمًا قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله".

وإننا إذ ننشر هذه الأبيات بكل فخر وامتنان، نعبر له عن بالغ شكرنا وتقديرنا، سائلين الله أن يبارك فيه، ويجزيه خيرًا على هذه اللفتة الكريمة، وأن يكثر في الأمة من أمثاله من عشّاق الكلمة الهادفة والفكر الأصيل.

قد أشرَقَتْ بِعُلُومِهَا وَفُنُونِهَا ... لِلقَارئينَ (مَجَلَّةُ الإشرَاقِ)
أعظِمْ بِنُورٍ شَعَّ مِنْ صَفحاتِهَا ... وَاعجَبْ لِهَدي لاحَ مِنْ أورَاقِ
شَمسٌ مِنَ الإسلامِ جَلَّى صُبحُهَا ... ليلَ الدُّجَى وَالجَهلِ عَنْ آفاقِ
حَمَلَتْ هُمُومَ المُسلِمينَ كأنَّما ... كُتِبَتْ بِدَمعِ الأمَّةِ المُهْرَاقِ
وَتَضَامَنَتْ مع صَوتِ كُلِّ مُعَذَّبٍ ... وَلَرُبَّ قَولٍ جَاءَ كَالتِّرياقِ
زَرَعَتْ بُذُورَ الخَيرِ في أروَاحِنَا ... وَالخَيرُ يَنمُو إنْ سَقَاهُ السَّاقِ
فَحُرُوفُهَا كَالنُّورِ في أبصَارِنَا ... وَمِدَادُها كَالكُحلِ في الأحدَاقِ
أبحَرْتُ بينَ سُطُورِهَا فَكَشَفْتُ ... عَنْ دُرٍّ مِنَ التِّبيَانِ في الأعمَاقِ
دُرٍّ بَدَا لِلنَّاظِرينَ بَريقُهُ ... مِنْ تَحتِ مَاءٍ سَلْسَلٍ رَقرَاقِ
وَوَجَدتُ فيها كُلَّ عِلمٍ نَافِعٍ ... وَلَمَسْتُ فيها الفَنَّ للذَّوَّاقِ
قد بارِكَ الرَّحمَنُ كُلَّ مُحَرِّرٍ ... فيها لِكُلِّ فَضِيلَةٍ سَبَّاقِ
خَطَّتْ أنَامِلُهُ الحُرُوفَ فَأظْهَرَتْ ... أنَّ الجَمَالَ بِكُلِّ فِكْر رَاقِ

جاويد أحمد غامدي
ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

الإسلام والتصوف

(الحلقة الأولى)

[كتب الأستاذ جاويد أحمد غامدي هذا المقال بعنوان "الإسلام والتصوّف" سنة ١٩٩٣م، ثم ضمّه إلى كتابه "برهان". ويسرّنا اليوم أن نقدّم ترجمته العربية لقرّاء "الإشراق"]

الأساس الذي قام عليه نظام الزاوية (الخانقاه) في تراثنا الديني هو ما يعرف لدينا بـ "التصوف". وهذه التسمية تطلق على منظومة دينية موازية، تختلف تمامًا في مبادئها وأصولها عن الدين الذي دعا إليه القرآن الكريم بني آدم. ونحن نعرض فيما يلي وجهة نظرنا حول الإسلام والتصوف بالتفصيل:

التوحيد:

من منظور القرآن، التوحيد هو الإيمان بأن الإله هو الله وحده، المتصف بكل صفات الكمال، المنزّه عن كل عيب ونقص. هذه الصفات تقرّها العقول وقد بيّنها الله تعالى ذاته بواسطة أنبيائه. كلمة "إله" في اللغة العربية تطلق على الكائن الذي يعتقد أنه يملك بدرجة ما تصرفًا وأمرًا يتجاوز الأسباب والمسببات. ومن وجهة نظر القرآن، فإن إسناد أي صفة أو حق لشخص من خصائص هذا التصرف والأمر، هو في الحقيقة جعل لذلك الشخص "إلهًا".

ولهذا فإن القرآن يثبت هذه الصفات والحقوق لله وحده، ويطلب من بني آدم أن يثبتوها لله تعالى في إيمانهم وأعمالهم وطموحاتهم وإرادتهم. أما الشرك، في مصطلح القرآن، فهو الانحراف عن هذا الأصل.

وهذا هو التوحيد الذي يبنى عليه دين الله، وهو البداية والنهاية، والظاهر

والباطن لهذا الدين.

وهذه هي الدعوة التي نادى بها جميع أنبياء الله، إبراهيم، وموسى، ويحيى، وعيسى عليهم السلام، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم. جميع الكتب السماوية نزلت حاملة لهذا التوحيد، ولا توجد درجة من التوحيد فوق هذا المستوى يمكن للإنسان أن يسعى لبلوغها في هذه الدنيا. القرآن الكريم، من بدايته إلى نهايته، يبين هذا المفهوم بوضوح. وقد جاء في سورة الحشر:

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ، هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ، سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ، هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ، يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحشر: ٢٢ - ٢٤)

وفي سورة الإخلاص:

﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، اللهُ ٱلصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١ - ٤)

وفي سورة التوبة قال تعالى:

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣١)

في دين أهل التصوف، تعدّ هذه الصورة من التوحيد مجرد الدرجة الأولى. إنهم يعتبرونها توحيد العوام، ولا يرون لها في مضمون التوحيد إلا مكان التمهيد.

أما أعلى مراتب التوحيد عندهم، فهي أن يعترف بوجود الله وحده، وألا يكون لغيره وجود حقيقي. فجميع التعيينات في العالم، سواء أكانت محسوسة أم معقولة، فهي منتزعة من وجود الحق، وليست سوى اعتبارات ذهنية؛ فلا وجود خارجيًا مستقلًا لها عن وجود الله. العالم، عندهم، ليس إلا تجليات للذات الإلهية؛ فهو من حيث الوجود، عين وجود الله، وإن لم يكن هو الله من حيث التعيين والخصوصية. وحقيقة العالم عندهم هي العدم؛ فإن ثبت له وجود مستقل، عُدّ ذلك شركًا في الوجود. ومقولة "لا موجود إلا الله" تهدف إلى نفي هذا الشرك:

جاروب "لا" بيار كه اين شرک فى الوجود
با گرد فرش و سينه بايوان برابر است

الترجمة: "احمل مكنسة "لا"، فإن إثبات الوجود لغير الله شرك،وامسح بها

الأرض والصدر، فهما في هذا المقام سواء."

وقد قال صاحب كتاب "منازل السائرين" [١]:

"التوحيد على ثلاثة وجوه، الوجه الأول: توحيد العامة، وهو الذي يصحب الشواهد[٢]، الوجه الثاني: توحيد الخاصة، وهو الذي يثبت بالحقائق [٣]، الوجه الثالث: توحيد قائم بالقدم [٤]، وهو توحيد خاصة الخاصة. فأما التوحيد الأول، فهو شهادة أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤًا أحد." (صـ ٤٧)

وفي شرحه لهذا التوحيد الثالث، الذي يسمونه "قائمًا بالقدم"، يقول:

إنه إسقاط الحدوث، وإثبات القدم [٥]. (صـ ٤٧)

وهذا هو أيضًا ما قرره الإمام الغزالي [٦]، حيث قال:

"والرابعة: ألا يرى في الوجود إلا واحدًا، وهي مشاهدة الصديقين، وتسميه الصوفية "الفناء في التوحيد"، لأنه من حيث لا يرى إلا واحدًا، لا يرى نفسه أيضًا، وإذا لم ير نفسه، لكونه مستغرقًا في التوحيد، كان فانيًا عن نفسه في توحيده؛ بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه والخلق." (إحياء علوم الدين، ٤/ ٥٤٢)

وقد شرح ابن عربي هذا المعتقد وفسّره مطولًا في كتبه، خاصة في "فصوص الحكم" و "الفتوحات المكية" [٧]. فمن وجهة نظره، العارف الحقيقي هو من لا يميز بين ذات الحق وذات العالم من حيث الحقيقة؛ بل يرى أن كل ما يدرك، ومن يدركه، وبما يدركه، كل ذلك هو في حقيقته تجلٍّ للذات الإلهية [٨]. وفي فص هودية يقول:

"فمن رأى الحق منه فيه بعينه فذلك هو العارف، ومن رآه منه فيه بعين نفسه فذلك غير العارف، ومن لم ير الحق لا منه ولا فيه، وينتظر أن يراه بعين نفسه [٩]، فهو الجاهل المحجوب." (فصوص الحكم، صـ ٣١١)

ويقول كذلك:

فلم يبق إلا الحق لم يبق كائن فما ثم موصول هناك وما ثم مباين[١٠]

وفي فص إدريسي نقرأ:

"فالأمر هو الخالق المخلوق، والأمر المخلوق هو الخالق، كل ذلك من عين واحدة، لا، بل هو العين الواحدة، وهو العيون الكثيرة." [١١] (فصوص الحكم، صـ ٧٨)

أما الشيخ أحمد السرهندي [١٢]، فقد خالف ابن عربي في مسألة ماهية الممكنات

فقط؛ ففي حين يرى ابن عربي أن الممكنات هي الأسماء والصفات التي تميزت في مرتبة العلم، يرى الشيخ أنها عدميات أحدثت تعيّنًا في علم الله، وظهر لها ثبات في مرتبة الوهم والحس.

أما عن وجودها، فإن رأيه مطابق لما سبق ذكره، حيث يقول:

"ممكن را وجود ثابت كردن و خير و كمال باو داشتن فى الحقيقت شريک كردن است او را در ملک و ملک حق جل سلطانه." (مكتوبات، ج٢، مكتوب ١)

الترجمة: "إثبات الوجود للممكن، ونسبة الخير والكمال إليه، هو في الحقيقة إشراك له في ملك الله وسلطانه جل سلطانه."

ومع ذلك، وعلى أساس هذا الاختلاف، قدّم الشيخ نظريته المعروفة بـ"توحيد شهودي".

فبما أن العالم ثابت – على الأقل – في مرتبة الوهم، فإن النفي يجب أن يكون في نطاق المشاهدة فقط؛ فالسالك عنده لا يرى في هذا المقام سوى الله. ولذلك يكون توحيده حينها هو أن لا يكون في مشهوده إلا الله وحده.

وفي مكتوباته يقول:

توحيد شهودي يكي ديدن است، يعني مشهود سالك جز يكي نباشد.
(مكتوبات ١، مكتوب ٣٤)

الترجمة: "توحيد شهودي هو أن لا يرى السالك في مشهوده إلا واحدًا."

وهذا في الحقيقة اختلاف في التعبير فقط؛ فبعد الانحراف عن الصراط المستقيم الذي بيّنه القرآن الكريم، حيث لا يعدّ إثبات الوجود للممكن شركًا، ولا يعتبر قصر المشهود على الله مرتبة من مراتب التوحيد، فإن ما اتخذه أهل التصوف في هذا الباب لا يعدو أن يكون مقامات وتجليات في طريقتهم الخاصة.

وقد وضّح هذه الحقيقة الشيخ شاه إسماعيل الدهلوي في كتابه "عبقات" [١٣]، حيث كتب:

"اتفق أهل الكشف والوجدان، وأرباب الشهود والعرفان [١٤]، مؤيدين بالبراهين العقلية والإشارات النقلية، على أن القيوم[١٥] للكثرات الكونية[١٦] واحد شخصي."
(إشارة ١، عبقة ٢٠)

ويقول كذلك:

"وليس بينهم[17] وبين الشهودية الظلية[18] اختلاف عند التحقيق، إلا في العبارات الناشية من تغاير مقاماتهم واختلاف انحاء وصولهم إلى اللاهوت[19]."

(إشارة ١، عبقة ٢٠)

وقد بيّن صاحب عبقات مراتب هذا التوحيد على النحو الآتي:

"التفطن بالوحدة القومية للكثرة الكونية واستقلالها بالتحقيق، والمبدئية للآثار واضمحلال الكثرة تحتها وتبعيتها في الوجود يقينًا واطمئنانًا، علمًا أو عيانًا أو حقًا يسمى بتوحيد ظاهر الوجود." (إشارة ١، عبقة ١٤)

وفي الموضع نفسه، يقول:

"فلا يزال العارف يسير في الله[20] حتى ينكشف الوحدة الجامعة لشتات الأسماء، وهذا يسمى توحيد باطن الوجود[21]." (إشارة ١، عبقة ٣٦)

وليس ذلك فحسب، بل إن التوحيد الذي يدعو إليه القرآن بني آدم هو، في نظره، حقيقة واضحة جليّة، قد بيّنها خالق هذا الكون في كتبه، ومدحها أنبياؤه، وفهمتها القلوب، وأقرت بها الألسن، وشهد لها ملائكة الله وأولو العلم، ولم يعد فيها أي جانب خفي على من يسمع أو يعقل.

قال تعالى:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ٣/ ١٨)

جميع أنبياء الله قد أرسلوا إلى العالم من أجل إعلان هذه الحقيقة العظيمة ودعوة البشر إليها. وقد حمّلهم الله، الذي أعلن أنه لا يكلّف نفسًا إلا وسعها، مسؤولية تبليغها للناس. فإن قصّروا في ذلك، فقد قصّروا في أداء المهمة الرسالية التي من أجلها اصطفاهم الله رسلًا.

وقد قال الله عز وجل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ (المائدة: ٥/ ٦٧)

أما في دين المتصوفة، فإذا ما اطّلع السالك على أسرار هذا التوحيد، الذي سبق بيانه، فإن الألفاظ تعجز عن التعبير عنه، واللسان يعجز عن وصفه أو الدعوة إليه.[22]

وقد ورد في كتاب "منازل السائرين":

"فإن ذلك التوحيد، تزيده العباراة خفاءً والصفة نفورًا، والبسط صعوبة."

(صـ ٤٨)

ويقول كذلك:

"والاح منه لائحاً إلى أسرار طائفة من صفوته واخرسهم عن نعته واعجزهم عن بثّه." (صـ ٤٧)

وقد كتب الإمام الغزالي:

"فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب، فقد قال العارفون: إفشاء سر الربوبية كفر."

(إحياء علوم الدين، ج ٤/ صـ ٢٤٦)

هذا الفهم للتوحيد هو نفسه ما عليه شارح الأوبنشاد، وشري شنكر آشاريا، وشري رامانوج آشاريا، وكذلك الفيلسوف أفلوطينوس وسبينوزا. وقد تأثّر بهم فلاسفة الغرب مثل: ليبنتس، فيخته، هيغل، شوبنهاور، وبرادلي. ومن بين هؤلاء، كان شنكر، وأفلوطين، وسبينوزا يؤمنون بـ"التوحيد الوجودي"، في حين أن رامانوج آشاريا كان من أهل "التوحيد الشهودي". وقد قدّم شري كرشنا في كتاب "كيتا" نفس هذا التعليم. ولهذا، فإن كتب أوبنشد، برهم سوترا، كيتا، وفصوص الحكم، تحظى في هذا "الدّين" بنفس المكانة التي تحتلها التوراة، الزبور، الإنجيل، والقرآن في دين الأنبياء.

وبالنظر إلى هذا المعنى، يمكن القول إن التصوف، في مقابل هداية الله (الإسلام) هو ضلالة عالمية أثّرت في أعظم العقول البشرية.

(يتبع ...)

الهوامش:

١- "منازل السائرين" هو من أهم المصادر في علم التصوف، ألّفه شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي. كان من شيوخ خراسان وأكابر الحنابلة في زمانه، وتوفي سنة ٤٨١هـ.

٢- أي: الأدلة المستندة إلى شهادة العقل، والفطرة، والوحي الإلهي.

٣- أي: المكاشفات والمشاهدات، وما شابهها من الحقائق التي ذكرها المؤلف تحت

هذا العنوان في "منازل السائرين".

٤- أي: أنه في هذه المرتبة، لا يبقى للعبد وجود مستقل، ومن ثم فإن الذي يوحّد، في الحقيقة، هو الذات الإلهية نفسها؛ فهي توحّد نفسها بنفسها. وعليه، فالتوحيد لا يثبت إلا لله وحده، وأيّ إثبات لموحّد سواه يعدّ – بحسب رأيهم – نوعًا من الإلحاد.

قال صاحب "منازل السائرين":

توحيده إياه توحيده ونعت من ينعته لاحد

أي: توحيده الحقيقي هو توحيده لنفسه، وأما من يصفه بالتوحيد، فذلك عندهم إلحاد.

٥- أي: الإقرار بأن الموجود الحق هو الله وحده.

٦- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المعروف بلقب "حجّة الإسلام"، ولد في طابران قرب طوس سنة ٤٥٠هـ. ومن أشهر مؤلفاته في علم التصوف كتاب "إحياء علوم الدين". توفي سنة ٥٠٥هـ.

٧- "فصوص الحكم" و "الفتوحات المكية" هما من أعظم مؤلفات الشيخ محيي الدين ابن عربي، الذي يلقب عند الصوفية بـ "الشيخ الأكبر". ولد في مرسية بالأندلس سنة ٥٦٠هـ، وتوفي في دمشق سنة ٦٣٨هـ.

٨- أي: الإقرار بأن الشهود، والشاهد، والمشهود كلهم شيء واحد.

٩- أي: الاستمرار على الرأي القائل بوجود فارق حقيقي بين الخالق والمخلوق.

١٠- "فصوص الحكم": فص إسماعيلي، ص ٩٣.

١١- فقد كتب ما يلي:

"إن الله تعالى فدى ابن إبراهيم بذِبْح عظيم، فكان الظاهر بصورة الكبش، وهو نفس من ظهر بصورة الإنسان – أي إبراهيم – ومن ظهر بصورة ابن إبراهيم. لا، بل كان المظهر بصفة الابن هو عين الوالد، أي الله تعالى." (فص إدريسي، ص ٧٨)

١٢- الشيخ أحمد بدر الدين أبو البركات فاروقي السرهندي، المعروف بلقبي "الشيخ المجدّد" و"المجدّد للألف الثاني"، ولد سنة ٩٧١هـ. وتعدّ مكتوباته من أفضل التعبيرات عن أفكاره. توفي سنة ١٠٣٤هـ.

١٣- عبقات تعدّ من روائع التصوف، ألّفها شاه محمد إسماعيل، حفيد شاه ولي الله. ولد سنة ١١٩٣هـ، وقاد حركة عظيمة للدعوة والجهاد تحت إمرة السيد أحمد بريلوي.

استشهد في معركة ضد السيخ في بالاكوت سنة ١٢٤٦هـ.

١٤- أي: أهل التصوف.

١٥- أي: الذي يستمدّ منه وجود شيء، مثل الحديد الذي تصنع منه السيف والسكين وغيرها.

١٦- أي: ذات الباري في مرتبة "الوجود المنبسط"، وهي المرتبة التي يُطلق عليها ابن عربي اسم "ظاهر الوجود". في هذا المقام، تكون علاقة ذات الباري بالعالم مثل علاقة الحديد بالسيف المصنوع منه. وهي المرتبة الخامسة من مراتب الأسماء لديهم.

١٧- أي: القائلون بوحدة الوجود.

١٨- أي: القائلون بوحدة الشهود.

١٩- لفظ "لاهوت" يطلقه أهل التصوف على ذات الباري. وقد قال صاحب عبقات:

"قد جرت عادتهم بأن يسمّوا ذات الفاطر باللاهوت." (إشارة ١، عبقة ٧١)

٢٠- "السير في الله" هو كشف المرتبة الباطنية من الوجود عند سالكي الطريق إلى الله، والتي يطلقون عليها "باطن الوجود".

٢١- في اصطلاحهم، هي المرتبة الثالثة من مراتب الأسماء، ويطلق عليها أيضًا "الواحدية"، أو "التنزّل العلمي"، أو "العالَم العقلي".

٢٢- ومع ذلك، فإن هذه الأسرار إذا ظهرت يومًا على ألسنتهم، فإن أجواء الزوايا (الخانقاهات) تتردّد فيها أصوات مثل: "أنا الحق"، و"سبحاني ما أعظم شأني"، و"ما في جبتي إلا الله".

السيد منظور الحسن

صيغ بالعربية: الأستاذ عثمان فاروق

البدعة في تحريم الحلال

لم يمنح الله تعالى أحدًا من خلقه سلطة التشريع في الدين. حتى رسول الله ﷺ، لم يكن ينطق في أمور الدين عن الهوى، بل كان يتلقى وحيًا ويبلّغ عن ربه ما أمر به. فكيف يحقّ لغيره أن يتجرأ على هذا المقام؟ إن من يزعم لنفسه حقّ التحليل والتحريم بغير سلطان من الله، إنما يقتحم حدودًا لا يجوز لمسلم أن يدنو منها، ويتجرأ على مقام الألوهية بما لم يأذن به الله. وهذا بلا شك افتراء عظيم على الله.

وقد جاء في كتاب الله، في سورة الأعراف، هذا الإنكار الإلهي الجليّ على من يفعلون ذلك:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾

(الأعراف: ٣٢)

فهو استفهام استنكاري يكشف عن سخط الرب تعالى على أولئك الذين يضيّقون على الناس ما وسّعه الله لهم، ويحرمون من الطيبات ما جعله الله متاعًا لعباده. بل إن الله عز وجل حذّر من مغبّة هذا المسلك، وبيّن أن عاقبته الخسران في الدنيا والآخرة، فقال:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (النحل: ١١٦)

إن تحريم ما أحلّ الله، أو تحليل ما حرّمه، ليس إلا وضعًا لشريعة من تلقاء النفس، وهو ما يسمّيه العلماء بالبدعة. وهذا الانحراف قديم، مارسه كثير من

القادة الدينيين في الأمم السابقة، فحرفوا الكلم عن مواضعه، وضيّقوا على أتباعهم بما لم ينزل الله به سلطانًا. لقد وقع في هذا الذنب علماء اليهود والنصارى، ولم يتورعوا عن ابتداع الأحكام ونسبتها إلى الدين، حتى غدا الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله، كما وصفهم القرآن الكريم في قوله:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَـٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣١)

كتب أستاذنا الجليل جاويد أحمد غامدي في تفسير هذه الآية:

"أي أنّهم أعطوا علماءهم وفقهاءهم المكانة التي لا ينبغي أن تُمنح إلا لرب العالمين؛ فقبلوا منهم أحكام التحليل والتحريم كأنها أحكام إلهية، وانقادوا لها كما ينقادون لأوامر الله وأحكامه. بل حتى إذا عرضت عليهم آية صريحة من كتاب الله أو حديث واضح عن نبيّه، فإنهم لا يولونها أي اعتبار أو اهتمام."

(البيان، جـ٢، صـ ٣٤٣)

وقد روى عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في تفسير هذا السلوك:

"إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئًا استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئًا حرّموه." (الترمذي، رقم ٣٠٩٥، وقد حكم العلامة ناصر الدين الألباني رحمه الله على هذا الحديث بأنه حسن).

ولا تختلف حال أمة الإسلام كثيرًا عن حال من سبقهم؛ فقد جعل كثير من المسلمين علماؤهم وفقهاءهم، بل مشايخ الطرق ومرشديهم الروحيين، في هذه المنزلة نفسها. وأبشع صور هذا الانحراف هي حين يُختلق الكذب في مسائل الحلال والحرام بدعوى تحقيق مصلحة دينية أو أخلاقية. فالحفاظ على الدين والشريعة، ونشر الإحسان والفضيلة، تتّخذ ذرائع لهذا الافتراء.

فنرى اليوم، تحت عنوان الزهد والتقوى، تروّج تعاليم الرهبانية، ويجعل التزكية الروحية وسيلة لتحريم السمع والبصر والكلام، بل والطعام والشراب، ومتاع الحياة التي أباحها الله لعباده. إن هذا الفعل، أي تحريم الحلال من تلقاء النفس، يعدّ في ذاته أمرًا محرمًا.

وقد عدّ الله تعالى هذا المسلك من جملة المحرمات الكبرى في منظومة الأخلاق،

حيث قال:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُوْلُوْا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ﴾ (الأعراف: ٣٣)

كتب الأستاذ الجليل في تفسيره أن في هذه الآية الكريمة، "قول على الله" يتضمن في أسلوبه معنى "الافتراء على الله"، ومقصوده، اختلاق الكذب باسم الله، بتحليل ما حرّمه وتحريم ما أحلّه، وتأليف شريعة لا صلة لها بالله ولا بدينه. وقد جاء في كلامه:

"الألفاظ الأصلية في الآية هي (أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)، وصلة (عَلَى) بعد (تَقُولُوا) تدلّ على التضمين، أي، أن المعنى متضمن لعبارة (مُفْتَرِينَ عَلَى اللهِ). فسواء أصدرت الفتاوى في الحلال والحرام من تلقاء النفس، أو اخترعت البدع اتباعًا للأهواء، أو صنّفت شريعة من عند النفس ونسبت إلى الله، فكل هذه الأفعال تدخل تحت هذا المفهوم." (البيان، ج٢، صـ ١٥٠)

السيد منظور الحسن

نقله إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

موقف الأستاذ غامدي من قضية نزول المسيح

[مقتبس من حوار الأستاذ غامدي مع محمد حسن إلياس]

(الحلقة الثامنة)

موقف العلماء من قضية نزول المسيح عليه السلام

يرى الإمام الشوكاني أن الأحاديث الواردة في نزول المسيح عليه السلام، وكذلك الأحاديث الواردة في خروج الدجال والمهدي المنتظر، كلها بلغت حدَّ **التواتر**.وقد نقل صاحب *عون المعبود* قوله:

"وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر... الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، والأحاديث الواردة في الدجال متواترة، والأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام متواترة" (عون المعبود ١١/٣٠٨).

أولًا: الاستدلال بآية سورة الزخرف (الآية ٦١)

قال الله تعالى:

"وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ."

يفهم جمهور المفسرين أن الضمير في قوله:" وَإِنَّهُ "يعود إلى المسيح عيسى عليه السلام، أي أنه **علامة من علامات الساعة** .وقد فسّروا ذلك بنزوله من السماء قبل قيام الساعة.

قال ابن كثير رحمه الله:

"يعني المسيح عيسى عليه السلام هو علامة من علامات يوم القيامة... والمقصود هنا نزوله عليه السلام قبل يوم القيامة، كما قال تعالى :وَإِنْ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ. وقد ثبت في الأحاديث المتواترة أن عيسى عليه السلام سينزل قبل يوم القيامة إمامًا عادلاً وحاكمًا مقسطًا."

وهذا المعنى رواه مجاهد، وأبو هريرة، وابن عباس، وأبو العالية، وأبو مالك، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والضحاك وغيرهم.

ويقول الشيخ محمد مالك الكاندهلوي في معارف القرآن[1]:

"جمهور المفسرين متفقون على أن المقصود بـ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ هو عيسى بن مريم عليه السلام، وأن نزوله من السماء وظهوره على الأرض من العلامات الكبرى للساعة." (٧/٣٠٧)

ثانيًا: تقرير موقف علماء الأمة

تضافرت النصوص الشرعية لتثبت أن الله رفع عيسى عليه السلام إلى السماء حيًّا، وأنه سينزل في آخر الزمان ليؤدي مهامّ معينة، ثم يموت. وقد أجمعت الأمة على صحة هذا الاعتقاد استنادًا إلى القرآن والسنة، واعتبرته من المسائل المقطوع بها.

يقول العلامة زاهد الكوثري في كتابه نظرة خاطفة على اتهامات من ينكرون عيسى عليه السلام قبل الآخرة:

> "إن نصوص القرآن الكريم وحدها تحتم القول برفع عيسى عليه السلام حيًّا وبنزوله في آخر الزمان، ولا يعتد بالاحتمالات الخيالية التي لا تقوم على دليل. والأحاديث قد تواترت في ذلك، واستمرت الأمة خلفًا عن سلف على الأخذ بها وتدوين موجبها في كتب الاعتقاد منذ العصور الأولى إلى يومنا هذا" (ص١٠٦).

ثالثًا: إدراج نزول المسيح ضمن العقائد

هذه العبارة تلخص الموقف العام للعلماء. ومن الواضح من هذا أن عندما يتم ذكر نصوص نزول المسيح فإن ذلك يترتب عليه أيضاً بعض الآثار والنتائج. وتأتي هذه المناقشات في طبيعة المناقشات التكميلية والإضافية، والتي تُطرح للتأكيد على موقف معين وإزالة الاعتراضات عليه. ومع ذلك، فإنها تتمتع بأهمية خاصة

---

[1] إن هذا مقتبس من تفسير معارف القرآن للشيخ إدريس الكاندهلوي، وقد توفي حين بلغ إلى مجلده الخامس قبل اكتماله وأكمل نجله عبد المالك بقية أجزاء التفسير بعده.

في السياق العام للدين. ولذلك فمن المهم أيضًا أن نذكرها. وفيما يلي ثلاث مناقشات بارزة في هذا الصدد.

أولاً. شمول تصور نزول المسيح في العقائد

إن مفهوم نزول المسيح يندرج ضمن تصنيف الإيمانيات. ويبدو أن هذا عند العلماء اعتقاد، كالإيمان بالتوحيد والنبوة واليوم الآخر، وهو اعتقاد لا بد من الإيمان به. والمقصود أن المسلم يجب أن يؤمن بأن عيسى عليه السلام سينزل مباشرة من السماء ويقتل المسيح الدجال. هذه علامة من علامات الساعة التي ستقع في المستقبل، ولأنها مبنية على أحاديث صحيحة ثابتة فإن الإيمان بها شرط من شروط الإيمان، وإنكارها كفر. فقد جاء في كتاب عقيدة الطحاوية وهو من أكبر كتب العقائد لدى الحنفية:

"ونؤمن بأشراط الساعة، ومنها: خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء". (١/٥٩)

وجاء في كتاب منسوب للإمام أبي حنيفة:

"خروج الدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام من السماء وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن" (ص٧٢).

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم:

"نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة، للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله، فوجب إثباته."(٧/٥٩٩)

وقال الإمام جلال الدين السيوطي في الحاوي للفتاوى:

"إما نفي نزول عيسى أو نفي النبوة عنه، وكلاهما كفر."(٢/٢٠١)

(للبحث صلة ...)

القرآنيات

البيان[1]

جاويد أحمد غامدي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سورة البقرة

(٨)

وَاِذۡ اَخَذۡنَا مِيۡثَاقَ بَنِىۡۤ اِسۡرَآءِيۡلَ لَا تَعۡبُدُوۡنَ اِلَّا اللّٰهَ ؕ وَبِالۡوَالِدَيۡنِ اِحۡسَانًا وَّذِى الۡقُرۡبٰى وَالۡيَتٰمٰى وَالۡمَسٰكِيۡنِ وَقُوۡلُوۡا لِلنَّاسِ حُسۡنًا وَّاَقِيۡمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ ؕ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ اِلَّا قَلِيۡلًا مِّنۡكُمۡ وَاَنۡتُمۡ مُّعۡرِضُوۡنَ ﴿۸۳﴾

وَاِذۡ اَخَذۡنَا مِيۡثَاقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُوۡنَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُوۡنَ اَنۡفُسَكُمۡ مِّنۡ دِيَارِكُمۡ ثُمَّ اَقۡرَرۡتُمۡ وَاَنۡتُمۡ تَشۡهَدُوۡنَ ﴿۸۴﴾ ثُمَّ اَنۡتُمۡ هٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُوۡنَ اَنۡفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُوۡنَ فَرِيۡقًا مِّنۡكُمۡ مِّنۡ دِيَارِهِمۡ تَظٰهَرُوۡنَ عَلَيۡهِمۡ بِالۡاِثۡمِ وَالۡعُدۡوَانِ ؕ وَاِنۡ يَّاۡتُوۡكُمۡ اُسٰرٰى تُفٰدُوۡهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ اِخۡرَاجُهُمۡ ؕ اَفَتُؤۡمِنُوۡنَ بِبَعۡضِ الۡكِتٰبِ وَتَكۡفُرُوۡنَ بِبَعۡضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَنۡ يَّفۡعَلُ ذٰلِكَ مِنۡكُمۡ اِلَّا خِزۡىٌ فِى الۡحَيٰوةِ الدُّنۡيَا ۚ وَيَوۡمَ الۡقِيٰمَةِ يُرَدُّوۡنَ اِلٰٓى اَشَدِّ الۡعَذَابِ ؕ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُوۡنَ ﴿۸۵﴾ اُولٰٓئِكَ الَّذِيۡنَ اشۡتَرَوُا الۡحَيٰوةَ الدُّنۡيَا بِالۡاٰخِرَةِ ۟ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ الۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنۡصَرُوۡنَ ﴿۸۶﴾

وَلَقَدۡ اٰتَيۡنَا مُوۡسَى الۡكِتٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۡۢ بَعۡدِهٖ بِالرُّسُلِ ۟ وَاٰتَيۡنَا عِيۡسَى ابۡنَ مَرۡيَمَ الۡبَيِّنٰتِ وَاَيَّدۡنٰهُ بِرُوۡحِ الۡقُدُسِ ؕ اَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُوۡلٌۢ بِمَا لَا تَهۡوٰٓى اَنۡفُسُكُمُ اسۡتَكۡبَرۡتُمۡ ۚ فَفَرِيۡقًا كَذَّبۡتُمۡ ۟ وَفَرِيۡقًا تَقۡتُلُوۡنَ ﴿۸۷﴾ وَ

---

[1] ترجمة معاني القرآن باللغة العربية المستخرجة من تفسير "البيان" للأستاذ جاويد احمد غامدي. نقلها إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي.

قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۜ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾
وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ۙ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾

واذكروا، عندما قطعنا عهدا مع بني إسرائيل أنكم لن تعبدوا إلا الله، وأنكم تعاملون والديكم معاملة إحسان وبالأقرباء والأعزاء والأيتام والمحتاجين أيضا مثله. وتعهدنا معهم أن يقولوا للناس حسناً، وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. ثم توليتم (يابني إسرائيل) من بعد ذلك جميعا من ذاك العهد باستثناء عدد قليل منكم ، والحقيقة هي أنكم من المعرضين المتولين. (٨٣)

وتذكروا، عندما قطعنا عهدا معكم أنكم لن تسفكوا الدماء فيما بينكم، ولن تطردوا شعبكم من ديارهم، فاعترفتم وأنتم شهود بإقراركم. ثم أنتم الذين تقتلون أناساً منكم وتطردون إحدى جماعتكم من قُراهم، بحيث تساعدون بعضكم بعضا عليهم بقسوة وبإتلاف حق، وإذا جاءوا إليكم أسرى، فأنتم تفادونهم بفدية، مع أنه لم يكن جائزا لكم طردهم من أساسه. فهل تؤمنون إذن بجزء من كتاب الله وتنكرون جزءاً آخرمنه؟ لذلك فما هو جزاء أولئك الذين يفعلون هذا منكم، إلا أن ليس لهم سوى عاروخزي في الحياة الدنيا، وفي يوم القيامة سيتعرضون لأشد العقوبة والله ليس غافلا عما تفعلونه. إنهم الذين اشتروا الحياة الدنيا بدلاً من الآخرة فلم تخفف عنهم العقوبة، ولم تأت إليهم أي عون ومدد. (٨٤-٨٦)

ولقد أعطينا موسى الكتاب وأرسلنا رسلنا من بعده تباعاً وأعطيناعيسى ابن مريم (من بعدهم) آيات بينة واضحة وأيدناه بروح القدس. (وتعرفون كيف تعاملتم معهم؟) فهل يكون أنه كلما جاءكم نبي (لنا) بأشياء تتعارض مع رغباتكم، ستكونون متعجرفين (معه)؟ ثم تجحدون بعضهم وتقتلون بعضهم؟

و(هؤلاء قوم) قالوا: قلوبنا مغطاة، لا، لكن الله قد لعنهم بسبب كفرهم هذا، لذلك لا يؤمنون إلا قليلا. (٨٧-٨٨)

و(هؤلاء قوم أنه) عندما جاءهم كتاب من الله، يصدق ويؤكد النبوءات التي كانت معهم، وقد كانوا يدعون قبل ذلك من أجل النصر على أولئك الذين كفروا وأنكروا دينهم (بها)، فلما جاءهم ما يعلمونه ويعرفونه جيدا كفروا به. فلعنة الله على الكافرين. فما أسوأ شيء باعوا أنفسهم به بغياً ومحادةً فقط على أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فيكفرون بما أنزل الله عليه. فكسبوا غضباً على غضب ومقتاً ولهؤلاء المنكرين (الآن) هناك عذاب عظيم. (٨٩-٩٠)

(يتبع ...)

المعارف النبوية

الأحاديث

انتقاها: جاويد أحمد غامدي

١

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ بَحِيرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللهَ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا عَلَى كَنَفَيْ الصِّرَاطِ زُورَانِ لَهُمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، عَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ وَدَاعٍ يَدْعُو فَوْقَهُ وَاللهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَالْأَبْوَابُ الَّتِي عَلَى كَنَفَيْ الصِّرَاطِ حُدُودُ اللهِ فَلَا يَقَعُ أَحَدٌ فِي حُدُودِ اللهِ حَتَّى يُكْشَفَ السِّتْرُ وَالَّذِي يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ وَاعِظُ رَبِّهِ". قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. (رواه الترمذي في جامعه، أَبْوَابُ الْأَمْثَالِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَاب مَا جَاءَ فِي مَثَلِ اللهِ لِعِبَادِهِ، رقم الحديث ٢٨٥٩)

٢

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البرِّ والإثم، فقال: "البِرُّ حُسنُ الخُلُق، والإثم ما حاك في نفسك، وكرهتَ أن يطَّلع عليه الناس". (رواه مسلم. رقم ٤٦٣٨)

٣

عن قيس، قال: قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم} حتى أتى على آخر الآية - ألا وإن الناس إذا رأوا الظالم لم يأخذوا على يديه، أوشك الله أن يعمهم بعقابه، (أخرجه أحمد في مسنده، رقم الحديث٣٠)

مقامات

جاويد أحمد غامدي
ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

مقامات

(الحلقة السابعة)

أمين أحسن

إنه قد ارتحل من الدنيا العالم الثاني الكبير للعهد الجديد للإسلام.

ففي ١٩٣٠م لما انتقل الإمام حميد الدين الفراهي من هذا العالم الفاني إلى رحمة الله رثاه صاحب "المعارف" السيد سليمان الندوي رثاءَ عالم أول لهذا العهد الجديد. ونحن اليوم بعد ٦٧ عاماً على الأقل نرثى خليفة الفراهي أمين أحسن الإصلاحي فكما أن سقراط وفلاطون، أبوحنيفة وأبويوسف، ابن تيمية وابن القيم لا يمكن التفريق بينهم سيظل الفراهي والإصلاحي أيضا في الدنيا إسمان لمسمىً واحد دائما.

"عندما يكتمل الكبرياء يصبح حاجة ،فإن كل الصحاري لي بالنسبة للقيس ليست إلا ليلىٰ."

فكان الإصلاحي قد جمع بين جلال العلم وجماله، ووقار الفقر وتمكنة العجز والاستغناء المتجسم، والحب كل الحب، وكونه مفسراً ملهماً للوحي الأخير الالوهي، ومناد للعالم الجديد في الدين والشرع، المنشئ البارع والخطيب المصقع والفذ في طراز حسن تكلمه أن تشتاق الأسماع للإصغاء إلى كلامه فكان كما

قال الشاعر الاردي:

"مثل شمس السحر في براقة فكرته والحر الساذج في حديثه والدقيق في معانيه."

إني رأيت أمين الإصلاحي أول مرة في ١٩٧٣م ولم التفت بعد ذلك إلى جانب آخر. وكان بابه بابا مسدوداً آنذاك ولكن اعتزمت وجلست عليها كما قال شاعر فارسي:

"كن ساكنا لباب مقفل ولا ترد أي باب آخر."

ثم فتح الباب وفتح بشأن أن صار لي باب داري أنا. فمنذ ذلك اليوم كل ثروة العلم والعمل التي ورثتها وجدتها من ذلك الباب ومن عناية الله عزوجل. كما عبر به شاعر:

"إن دولة الحب وخزانة الطرب فكل ما أحوذه حصل لي بسبب يمن عزيمته."

وإنني حينما حكيت قصة مدرسة شبلي في ١٩٨٧م فقد كنت كتبت في تذكرة الإمام الفراهي: "والأستاذ أمين أحسن هو تلميذ رشيد لنابغة العصر كهذا، إن لم يبلغ مرتبة الاستاذ فلم يتخلف عنه أيضا فإن المكانة العليا التي بلغها حميد الدين قد قضى أمين أحسن طول عمره في تفسير رموزها وكشف أسرارها. فجاء تفسيره 'تدبر القرآن' كتاباً فذا في مجال العلم والتحقيق وإذا استمعت إلى ماجرى في الخمسين عاما ماضيا من معارك من لسانه الرشيق لكان كما قال عرفى الشاعر الفارسي ما مفهومه:

"إن رمحه يتكلم في ميدان القتال وفي وقت الصلح يتوسع جبينه تفسح الملوك."

وقد كتبت: "والأثارة الأخيرة لمدرسة شبلي هو أمين أحسن ولكن كم من تلامذته وأحباءه يعرفون هذه الحقيقة ويدركونها؟ وأراني احترق بنار هذا الإحساس الذي ما زال يشتعل في صدري منذ عشر سنوات أو أكثر. فإن نيرانه تكاد تخمد في رمادها ولا تخمد:

"فناره لا تخمد ودائما في اشتعال في قلبي."

ولم تبق هذه الأثارة أيضا في الدنيا ففي دسمبر ١٩٩٧ للميلاد عند الساعة الثالثة صباحاً انتقل إلى رحمة الله في الوقت نفسه الذي كان فيه يهب من النوم للتهجد. فقد بذل حياته كلها في حل مشكلات القرآن أسلوباً ومعنىً.

فماذا نفعل الآن، حيثما نواجه صعوبة سوف نسئل صاحب القرآن نفسه.

"أما هو فقد سكن اليوم العالم حيث كل الحجابات قد ارتفعت."

ومن هو أمين أحسن؟ وقبل أعوام عديدة منذ اليوم لما أراد بعض بايعي الدين تقييم مقامه من حيث عدد المعتقدين له قلت لهم:

"إنني لا أريد أن أقول شيئاً في أمري إلا أن رأس مالي كله هو التلمذ على أمين أحسن. وأما أمين أحسن فإنه لم يستهدف قط إلى أشياء يموتون هؤلاء عليها ويحيون لها، إنه استحقر دائما أن تلتفت نظرته إلى ذخارف الحياة الدنيا. والطريق التي يختارها الناس لحصول القبول هنيئاً مريئاً لو ذكرها شخص في مجلسه لطرد من مجلسه، فقد ظل شعاره طول عمره أنه "إصحب الحق على كل حال ولو تركك ظلك" إنه لم يحدث دلائل لمساوئ المجتمع الفاسدة بعد جمعها بل حاول لتطهير الفكر والعقيدة من تلك الخرافات والمفاسد. إنه لم ينزل مع الناس كل حضيض بل يدعوهم إلى معالي وارتفاعات فاز بها من أول يوم لشعوره. فعالَه عالم العلم والديانة، ولا مكان في عالمه للمتزيين بالدين والمرتزقين بالسياسة. إنه صحراء في ذرة كيانه وبحر في وجوده. وله اشتغالات في إقليم فكره أن لم يبق له مكان لأشياء كهذه. فإن مجاله الذي بذل فيه طول عمره هو مجال العلم والتحقيق لا مجال الإرادة والاسترشاد والمشيخة. فإن أراد شخص أن يرى ثمرة جهوده الشاقة فلير أروع ما جاء به علما و تحقيقا، والذي تعرفه الدنيا اليوم باسم "تدبر القرآن". فإنه ليس رجل اليوم إنه رجل المستقبل وزمانه ليس ببعيد.

وقد بدأ هذا الرجل المستقبلي كتابة "تدبر القرآن" في وقت ما لِـ ١٩٥٧م للميلاد. وكان يعد نفسه لذلك منذ زمان حينما قال له الإمام الفراهي في ١٩٢٥م وكان قائماً في زاوية لبيته: يا أمين ألم يان لك أن تقرأ علي القرآن أو تدوم على العمل بالجرائد؟ وكان أمين أحسن. حسب قوله هو آنذاك مديراً لجريدة يومية يتقاضى الراتب الشهري الخطير وقد أخبر عن نفسه: "وبالرغم من ذلك فقد أجبت بدون أدنى توقف وتردد: إنى أقرء عليك القرآن، فآشار الإمام الفراهي إلى حجرة متواضعة من بيته: إنك سوف تقيم هنا قال: "فقمت بالاستقالة من وظيفتي وصرت مقيماً في تلك الحجرة. ثم اقترح الشيخ سليمان الندوي إسمه للأستاذية في كلية واتفق مع مسئوليها لإرضاءه لذلك العمل وأخبر أمين أحسن به فذهب

إلى دار المصنفين راجلا في ظهيرة محترقة وقال للسيد سليمان الندوى: أنا متشكر لك جدا أن عرضت إسمي لذاك العمل ولكن بالأسف لم أكن لأقبل اقتراحك، فإنني لا أغادر الإمام الفراهي في حين حياته. وكان يقول إن السيد سليمان قد قضى العجب مما سمعه مني. فإنه ما كان يظن أن طالباً فقيراً سيرد الاقتراح الكبير كهذا. ثم إنه حكى هذه الحكاية أمام الطلبة في دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ أثناء خطابه وقال لهم: أنظروا إلى الطالب كهذا. وعلى كل يقول الأستاذ: "قد رجعت أنا بعد أن أقول له ذلك. ولكنى ظللت حذراً ومتفكراً في أنه إذا زار الاستاد الإمام دار المصنفين في هذه الأيام فعسىٰ أن يكلمه السيد سليمان في ذلك ويُعد الاستاذ لبعثي هناك."

وكان وجه الشيخ أمين يتلالؤ بتفاخر عجيب إذا ما يحكي لنا أنه بلغه فيما بعد أن الأستاذ الإمام قد ذهب هناك وقد كلمه السيد سليمان أيضا في ذلك الأمر ولكنه قد صارح له بكل صرامة: لماذا أنت تتعرض لأمين أحسن هكذا. فلمن أتجشم هذا التجشم في آخر الأمر؟

وآتت جهود الفراهي هذه أكلها. وفي ١٩٣٠م إذ حانت منية الفراهي دعا أمين أحسن وكان تحت علاج في مستشفى بمتهرا ولما دخل آمن أحسن حجرته رآه الفراهي وقال: جاء الأمين وكان أمين أحسن يقول: وإنه تكلم بإسمي من لسانه كأنه لا يريد الإسم الظاهر بل يسلم إلي أمانة علومه وأفكاره مشيرا إلى معنى كلمة الأمين. وبذل أمين أحسن حياته كلها في تأدية حق هذه الأمانة. وكان يقول دائما: "إنى أخاف أن ألقى الفراهي في حضرة الله سبحانه فلا يطمئن إلى عملي". فما هو تدبر القرآن يعرفه أمين أحسن بذاته ويقول:

> "إنني أبين هنا بدون شائبة فخر لتحديث الواقع فقط أن هذا الكتاب هو ثمرة جهودي لأربعين سنة. إنى صرفت ريعان شبابي في إعدادات لهذا الكتاب والآن اقضي شيخوختي مرحلة الأوجاع والأسقام في تحرير وتسويد هذا الكتاب. وفي هذه المدة الطويلة أنا شاهدت تقلبات الحياة الكثيرة وتجرعت جرعات حلوة ومريرة، ولكني أشكر الله سبحانه أن لم تنقطع علاقتي القلبية والفكرية بهذا الكتاب. فما قرأت في هذه المدة كان محوره كتاب الله وما تفكرت، فكرته واضعا أمامي هذا الكتاب، وماذا كتبت مباشراً أو غير مباشر كتبته عنه. فقد

القيت عصا التسيار على كل سورة من القرآن، وقمت بالمراقبة الفكرية على كل آية وحاولت لتقليب كل حجارة لحِل كل لفظ وكل إشكالية نحوية وأدبية، متوقعاً لنيل طريق إليه، وأفشى اليوم هذا السر أيضا أنى لم اشعر قط بكأبة أو اشمئزاز في هذا العمل بل أحسست دائماً بلذة عميقة وفرحة كبيرة. وقال الشاعر الفارسي:

"إن لكل زمان رجل يأتي من الغيب."

وذلك بالإضافة إلى ثمرات جهود أستاذي حميد الدين الفراهي الممتدة إلى ثلاثين عاماً مع نتائج محاولاتي ومساعي لأربعين سنة. وسأكون فخورًا جدًا إذا كان بإمكاني قول أن هذا الكتاب هو كله مجموعة إفادات الأستاذ المرحوم فهذا هو الواقع في الحقيقة. غير أنى أحتاط في مثل هذا الدعوى فقط لأن لاينسب أي خطأ لي إليه. ثم إنه ما كانت صورة استفادتي به أن إطلعت على رأيه جزماً عن تفسير كل آية من آيي القرآن. بل أخذت منه مبادئ وأصول للتدبر في القرآن. وبذلت خمسة أعوام كاملة في إعمال تلك المبادي والمناهج في إرشاده هو، ثم جربت تلك المبادئ في أعمالي حتى اليوم. فإعتباراً بذالك لم يكن خطأً إذا قلت أن كان ذلك غيض من فيضه ولكن بما أنه يشتمل على إفاداته المباشرة وافاداته الحاصلة بالواسطة ولذا من الأحوط أن أقول إذا رأيت في هذا الكتاب جزءاً محكوماً مدلولاً إنسبه إلى الأستاذ الجليل وإذا لمست فيه شيئاً ضعيفا أو خطأ ينبغي أن ينسب ذلك إليّ. (١/٤١)

وأضاف قائلا:

"واشهد المولىٰ سبحانه أني لم أفسر في هذا الكتاب آية من آيات القرآن تفسيراً ترددت فيه أدنى تردد. وإذا أحسست أي تردد اشرت إليه بلا تكلف كما ينبغي لي أن اذكر أني لم أتكلف في أى مقام أن أحمّل آية معنى لاتحتمله وأن استخدمه في تأييد نظرية لي أو فكرة أتبنى بها بتحريف معناها الحقيقى إلى معنى آخر. فإنى لم اتبنىٰ قط شيئاً خارجاً من القرآن الكريم، وإذا علقت في ذهني وقلبي فكرة فللقرآن وبسبب القرآن.

وسيرى دارسو هذا الكتاب أنه حيثما اختلفت من استاذي أعربت عنه بدون أي تردد. (١/ ٤٢)

وتم كتابة هذا التفسير في لاهور وظل تحت التسويد والتبييض في قرية رحمان آباد البعيدة عند زاوية "دوگران" خارج لاهور سنين عديدة، تحت أشجار الساسم والساسر. حيثما لاتوجد كهرباء ولا مروحة ولا أية تسهيلات أخرى هناك للتصنيف والتاليف. ورأينا مراراً وتكراراً أن المسودة مبللة بالعرق ولكن قلم المصنف كان يجري ويسير في مساره، لأنه كان يعرف جيداً أنه لحصول الوردة لابد من مواجهة الأشواك. فإنه كان يستعد لمواجهة كل المشكلات والصعوبات في حل مشكلات القرآن والإعراب عن نتائج فكره عن ذلك وهو كما قال الشاعر الفارسي، ومفهومه كما يأتي:

"التعب والاكتئاب لايلتحقان بطالب صادق فإن العشق مرشده فى الطريق بل العشق هو المنزل له."

ولا يمكن الإعراب لفظاً عن الكيفيات الإيمانية التي كان يمر بها في كتابة هذا التفسير لكتاب الله. وأنا أذكر حين بلغ إلى الآية الكريمة: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان من سورة الرحمن عرضت له هذه القصية أنه تخرج اللآلئي من الماء المليح فقط حسب المقولة العامة ولكن القرآن صريح في أنها تخرج من كلا المائين: العذب والمالح، فأمرني أن أقوم بالبحث والتحقيق في هذا الأمر ولكن كان وجهه خالياً من كل التردد والاضطراب وكان يظهر من وجهه طمأنينة عجيبة وضياء إيماني عجيب. ومما قال لي بهذه المناسبة لا أتاكد أن أكرر لفظه بعينه غير أن مراده كان كما يأتي: أقسم بالله العظيم إذا جاءتني اللآلي تقول إنها تخرج فقط من المياه المالحة فبالله سوف أقول لها إنك مشتبهة في خلقك أنت فإن القرآن لايخطأ قط.

وكان قد ولد في قرية بمهور بمديرية أعظم جراهـ باترابراديش في عام ١٩٠٤م. وكان أحد أعمامه البعيدة الشيخ شبلي المتكلم الندوي عميداً لمدرسة الإصلاح آنذاك. فأدخله والده مدرسة الإصلاح في يناير ١٩١٥م بإيعاز منه. فكان كل تعليمه قد تم في هذه المدرسة الواقعة بسرائ مير أعظم جراه فقط. وكانت مدرسة دينية ورغم ذلك فإنه تمكن من الاطلاع باللغة الإنجليزية بحيث يستطيع أن يقرء ويدرس كتب العلوم العالية في هذه اللغة بدون مشقة بل كان يستطيع أن يشرح عن مطالبها الدقيقة للآخرين. وطلبة المدارس الدينية لايستطيعون أن يتكلموا

باللغة العربية في عامة الأحوال ولكن الأستاذ أمين أحسن كان يتكلم بالعربية بلاتكلف حينما مقيما عند الإمام الفراهي يستفيد منه، ولما زار الهند الشيخ موسى جار الله فذهب إلى مدرسة الإصلاح أيضا كى يلتقي الإمام الفراهي وكان أمين يقوم باستضافته فلما رأ قدرته بالعربية محادثة وخطابةً سأله ذات يوم: كم كنت مقيما في البلاد العربية؟ فأجابه أمين احسن: ما مست قدمي هاتين قط بلاد العرب، فكان الشيخ موسىٰ جار الله يتحير لبرهة طويلة.

وفي هذا الزمان نفسه قد ألقى أمين أحسن الشاب ذات مرة خطابا في حضرة الكبار من أمثال الزعيم محمد علي جوهر والشيخ السيد سليمان الندوي، وترشح منه بعض ما اتسمت خطابته وبرزت فيما بعد، والتي أثنى عليها خطيب الزمان الذي لانظير له السيد عطاء الله البخاري بقوله: أنا أيضا خطيب ولكنك تجمع بين العلم والخطابة، فأثنى عليه الناس ثناءً عاطراً غير أنه كان ينتظر ماذا يقوله الأستاذ الإمام. وحضره في الدرس مساءً وذكر ذلك البعض للإمام الفراهي فقد استمع إلى ما يقوله الناس برهة ثم قال بطرازه الخاص! نعم هو كمثل أبي الكلام آزاد. فكان أمين يخبر أن الأستاذ الإمام قد لفظ بلفظ 'آزاد' بأسلوب خاص كأنه كان يريد التنبيه لا الثناء.وعلق علي ذلك "وكان ذلك اسلوب تربية استاذي خاصة."

وكان الأستاذ الإمام قبل ذلك في زمن طلبه بمدرسة الإصلاح قد حسّن إحدى خطابات أمين أحسن بقوله: "إن هذا الطالب قد أبلى بلاءً حسنا في الخطابة". فاقترح أستاذه عبد الرحمن النجرامي: "ينبغى أن يكون عند هذا الطالب تذكرة لِثناءك أنت يا شيخ. فأعطاه الفراهي 'مجموعة تفاسيره' وكتب عليها: "في تعويض للخطابة الحسنة" وأثبت إمضاءه عليه.

وفي عام ١٩٢٥م للميلاد قد ذهب إلى دولة ماليزيا لبعض حوائج المدرسة وكتب كتاباً إلى زميله الدراسي الشيخ اختر أحسن الاصلاحي وكانت فيه جملة "هذه أيام ربيع لجيشان البحر" وقرأ الإمام الفراهي كتابه وقال: إن أمين أحسن لأديب، وكان يقول عن نفسه إنه حينما يسئله شخص في أيام الطلب ماذا يريد أن يكون هو في المستقبل فيجيب: أريد أن أكون أديب الهند.

وفي هذه المرحلة كان له شوق إلى قريض الشعر وكان مطبوعاً على المرح والمزحة

منذ صباه. فهجا استاذاً له في المدرسة، فطلبه الاستاذ النجرامي ونبهه عليه مع قليل من الغرامة ولكنه قال له أيضا: إن نظمك جيد بلاشك. ومع ذلك فقد ذهب منه هذا الشوق مع مرور هذه المرحلة الزمانية. وكان يقول: إنى قارنت نظمي بنظم شبلي فخيل إلي أني لست بمكان أن أقول الشعر مثله فتركت هذا المجال برأسه.

(للحديث صلة ...)

ميزان

جاويد أحمد غامدي

ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

ميزان

(الحلقة السابعة)

السبع المثاني

والتاسع أن سورة القرآن لم ترتب ولم تجمع بطريقة غير منظمة، بل رتبها الله تعالى بنظام خاص، وعلى مثل نظم الكلام في السور فإن هذا الترتيب أيضًا ترتيب مناسب حكيم جدًّا برعاية الموضوع. ويمكن أن نوجز ذلك إجمالًا بأن جميع سور القرآن الكريم رتبت على سبعة أبواب، وكل سورة لها توأم ومثنى بلحاظ مضمونها، وبينهما مناسبة كمناسبة تكون بين زوجين. والعديد من السور مستثنى من ذلك. فمثلًا سورة الفاتحة منها جاءت كفاتحة الكتاب كله. والبقية جاءت تتمة وتكملة للقرآن مثل خاتمة الباب. ثم رتبت هذه السور كلها في صورة مجموعات سبعة عبرناها بالأبواب. وهذه الحقيقة قد جاءت في القرآن في سورة الحجر كنحو تال: وَلَقَدْ اٰتَيْنٰكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِيْ وَالْقُرْاٰنَ الْعَظِيْمَ (٨٧)

فكل باب من أبواب القرآن يبتدأ من سورة مكية أو أكثر ويختم على سورة مدنية.

والباب الأول يبتدأ من الفاتحة ويختم على المائدة، وفيه الفاتحة مكية والبقية الأربعة مدنية.

والباب الثاني يبتدأ من سورتين مكيتين هما الأنعام والأعراف، ويختم على الأنفال والتوبة سورتين مدنيتين. وفي الباب الثالث السور الأربعة عشر الأولى من يونس إلى المؤمنين مكية وفي آخره سورة واحدة، التوبة هي مدنية.

الباب الرابع يبتدأ من الفرقان ويختتم على الأحزاب وفيه السور الثمانية الأولى مكية ومدنية وسورة واحدة فيه مدنية أي الأحزاب.

الباب الخامس يبتدأ من السبأ ويختتم على الحجرات ففيه ثلاث عشرة سورة مكية وثلاث سور مدنية في آخره.

الباب السادس يبتدأ من ق ويختتم على التحريم وفيه سبع سور مكية وبعدها عشر مدنية.

والباب السابع يبتدأ من الملك وينتهي على الناس. وفيه معظم السور مكية ما عدا السورتين الآخرتين أي المعوذتين وهما مدنيتان.

ولكل باب من هذه الأبواب موضوع خاص به ورتبت فيه جميع السور برعاية ذاك الموضوع، فمثلًا موضوع الباب الأول هو إتمام الحجة على اليهود والنصارى وتأسيس أمة جديدة من بني إسماعيل مكانهم، وتزكية تلك الأمة وتطهيرها والعهد الأخير لله تعالى معها.

والباب الثاني يبين إتمام الحجة عليهم ووعيد العذاب لهم كنتيجة له وبشارة غلبة الحق في أرض العرب ويمكن لنا أن نلخص كل ذلك في لفظتين الإنذار والتبشير. وإذا استثنينا الباب الأول منها رأينا أن ترتيب هذه الأبواب في القرآن يسير من الختام إلى البدء.فيكتمل الباب السابع على الإنذار والتبشير، وبعد ذلك يشتمل مضمون الإنذار والتبشير مع مضمون التزكية والتطهير أيضًا في الأبواب السادسة والخامسة والرابعة والثالثة. أما الباب الثاني الذي هو الباب الأخير من هذه السلسلة فيبلغ فيه إنذار النبي منتهاه. ولذا يبدو فيه قضاء المحكمة السماوية للمخاطبين مع إتمام الحجة عليهم ومع التزكية والتطهير، والذي نعبر عنه بالدينونة الأخيرة لله سبحانه قيل يوم القيامة.

فالباب الأول منفرد لأنه يختص باليهود والنصارى بدلًا من المشركين ولكن إذا نظرت في القرآن من منظار فاتحته، فهذا الباب أيضًا مرتبط بمضمون الدينونة التي جاءت في سورة التوبة، بعد إتمام الحجة والتزكية والتطهير، كما أن الأبواب

المذكورة أعلاه ارتبطت واتسقت بترتيب صعودي إن جئتها من النهاية إلى البداية. ولذا فالباب الثاني كأنه ذروة سنام حيث يبلغ مضمون واحد مع فارق تغير المخاطبين إلى نقطة كماله وينتهي. فاتضح منه أن أسلوب الترتيب النزولي بعد الباب الأول قد اختير برعاية هذه الضرورة للربط بالباب الأول، ومضمون الإنذار والبشارة وإتمام الحجة قد جاء في السور المكية عمومًا ومضمون التطهير والتزكية في المدنيات. ولكنَّ هذين أيضًا متناسقان ومنسجمان مع كل باب، كأن الجزع يتفرع من الأصل، وتتفرع الأغصان من الجزع. فهذا ترتيب القرآن إذا رأيته نظرة تدبر فإن الترشيد الذي يحصل منه لطالب القرآن في فهم خلفية السور وزمان النزول، وفي تعيين مخاطبي القرآن وتعيين مضمون السورة من حيث المجموع لا يحصل من وسيلة أخرى خارج القرآن.

خلفية التاريخ

العاشر أن القرآن له تاريخ يقول إنه أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن السابع الميلادي وكان نزوله في أرض نعرفها بجزيرة العرب. وهذا التاريخ يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا قد أوضح مفاهيمه على الناس إذا احتاج إليه، ولم يزل وعلماء الصحابة كما أن علماء الأمة ومحققوها أيضًا يقومون بخدمة الفهم والتفهيم للقرآن ولا يزالون. هذا التاريخ مسلم ويقتضى بعض الأشياء من طلابه وهي كالتالي:

الأول يجب أن يطلع المرء على تاريخ جزيرة العرب وتاريخ زمان نزوله. فإن كل طالب للقرآن واقف على أنه يذكر اندثار الأقوام البائدة من العرب مثلًا قوم عاد وثمود وقوم مدين. ويبحث عن معتقداتها، ويتحدث عن دعوة أنبيائها وما كان من رد فعل لها على دعوة الأنبياء. ويحكي عن مقدم سيدنا إبراهيم عليه السلام وتقديم ابنه إسماعيل للذبح وتعمير بيت الله بمكة، ويشير إلى تأثير هذه الأحداث على الحالات الحضارية والأخلاقية والاجتماعية والمعيشية لجزيرة العرب.

كما أنه قد أشار إلى ما جاءت به قريش من تحريفات في دين إبراهيم وكيف استبدلت مركز التوحيد بيت الله الحرام في بيت الأصنام، وما جاءت ببدعات

ورسوم نتيجة لذلك. وكذلك يبحث عن ملابسات زمن النزول والأحداث والوجهات السياسية والعقائد الدينية والتصورات، فلفهم هذا كله لا بد من الاستفادة بتاريخ معاصر لنزوله إلى حد ما أمكن التعثر عليه، مع إبقاء حكومة ألفاظ القرآن ونظمه إبقاءً كليًّا. فمن الحقيقة أنه يساعد مساعدة كبيرة في فهم بعض إشارات القرآن وفي كشف غوامضه.

(يتبع ...)

آثار الصحابة

تفهيم الآثار

الدكتور محمد عمار خان ناصر
ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

آثار أئمة أهل البيت عن الصحابة رضي الله عنهم

آثار سيدنا علي رضي الله عنه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

(١١)

(٢)

(١) أثر علقمة بن قيس عن سيدنا علي رضي الله عنه

عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ قَالَ: ضَرَبَ عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ هَذَا الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: خَطَبَنَا عَلِيٌّ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ وَذَكَرَهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَذْكُرَهُ، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ أُنَاسًا يُفَضِّلُونِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَلَوْ كُنْتُ تَقَدَّمْتُ فِي ذَلِكَ لَعَاقَبْتُ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْعُقُوبَةَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ، فَمَنْ قَالَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ مُفْتَرٍ، عَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُفْتَرِي، إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَإِنَّا أَحْدَثْنَا بَعْدَهُمْ أَحْدَاثًا يَقْضِي اللهُ فِيهَا مَا أَحَبَّ، ثُمَّ قَالَ: أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا". (فضائل الصحابة، ابن حنبل، رقم ٤٦٠)

الشرح اللغوي

هَوْنًا مَا: كلمة "هَوْن" تعني الرفق واللين، والمقصود بها هنا الاعتدال والوسطية

في المحبة والبغضاء. و"ما" هنا إبهامية تأتي صفةً لاسم نكرة فتُضفي على المعنى عمومًا وسَعة. والمعنى: أحبب حبيبك حبًّا معتدلًا، لا إفراط فيه. جاء في "تاج العروس"(٣٦/٢٩٢): "أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَّا، أَي حُبًّا مُقْتَصِدًا لَا إِفْرَاطَ فِيهِ".

الشرح والتوضيح

اعتبار تفضيل أحد على سيدنا أبي بكر رضي الله عنه أمرًا يستوجب التعزير، كان في الأصل قرارًا من سيدنا عمر رضي الله عنه؛ فقد روى ابن أبي ليلى أن عمر بلغه أن رجلًا فضّله على أبي بكر، فقام بتأديبه بسوطه وقال:

"أبو بكر كان خير الناس بعد رسول الله ﷺ في كذا وكذا... من قال غير هذا أقمنا عليه ما نقيم على المفتري." (السنة، عبد الله بن أحمد، رقم ١٢٤٦)

وقال الشعبي:

"كان عمر يكتب إلى عماله: من فضلني على أبي بكر فاضربوه حد المفتري أو أربعين سوطًا." (أنساب الأشراف، البلاذري، ١٠/٨٢)

ويتضح من ذلك أن سيدنا علي رضي الله عنه أقر هذا المبدأ.

التخريج واختلاف الطرق

ورد الأثر من طريق علقمة بن قيس في عدة مصادر، منها:

- السنة، عبد الله بن أحمد (رقم ١٣٩٤)
- السنة، ابن أبي عاصم (رقم ٩٩٣)
- شرح مذاهب أهل السنة، ابن شاهين (رقم ١٩٨)
- فضائل أبي بكر الصديق، عشاري (رقم ٣٨)
- الحجة في بيان المحجة، إسماعيل التيمي الإصبهاني (رقم ٣٢٧)
- تاريخ دمشق، ابن عساكر (٤٤/٣٦٥)
- المحلّى بالآثار، ابن حزم (٨/٢٥٢)
- الاعتقاد، البيهقي (ص ٣٦١)

وجاء في الحجة في بيان المحجة أن سيدنا الحسن كان حاضرًا تلك الجلسة. كما ورد في مسند أحمد بلفظ: «إنَّ خيرَ الناس بعد رسولِ الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم أحدثنا بعدهما أحداثًا يقضي الله فيها» (رقم ١٠٢٨).

وروى هذا الخطبة أيضًا عبد خير، وحَكَم بن حَجْل، وسُوَيد بن غَفَلة، ومن

طريق حكم بن حجل جاء: "لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري." (فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، رقم ٣١٠)

وقد جاءت روايات سويد بن غفلة وعبد خير مفسرة لسبب الخطبة، حيث أشارا إلى أن عليًّا رضي الله عنه تبرأ ممن ينتقص أبا بكر وعمر، وبيّن فضلهما، وأكد أن من أحبَّه وجب أن يحبَّهما.

روى الإمام أحمد في *فضائل الصحابة* (رقم ٣١٠) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال:

"بلغني أن بعض الناس يفضلونني على أبي بكر وعمر، وأقسم أن من فضّلني عليهما فسوف أوقع عليه عقوبة حد القذف".

وقد نقل هذا الأثر أيضًا ابن عساكر في *تاريخ دمشق* (٣٠/٣٨٣)، والآجري في *الشريعة* (رقم ١٧٦٤)، وابن حزم في *المحلّى بالآثار* (٨٤/٢٥٢).

وتروي بعض المصادر تفاصيل أكثر عن سبب هذا الموقف، منها ما جاء عن **سويد بن غفلة**: قال: مررت على جماعة من أنصار علي رضي الله عنه، فسمعتهم ينتقصون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. ذهبت مباشرة إلى علي وأخبرته بما سمعت، فاستعاذ بالله وأعلن براءته من ذلك. ثم توجه إلى المسجد وصعد المنبر وخطب الناس، فذكر فضائل ومكانة أبي بكر وعمر، ثم قال:

"فمن لنا بمثلهما؟ رحم الله أبا بكر وعمر، ورزقنا اتباع نهجهما. من أحبني فليحبّهما، ومن أبغضهما فقد أبغضني، وأنا بريء منه. ولو كنت أنذرتكم من قبل لعاقبت أشد العقوبة، لكن لا يجوز معاقبة أحد قبل الإنذار. فمن سمعتُه بعد اليوم يفضلني عليهما فجزاؤه كجزاء القاذف. واعلموا أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، والله أعلم بالخير بعدهما".

أما **عبد خير** فيروي أن عليًّا بلغه أن بعض الناس جلسوا يتناقشون، وكأنهم فضلوا عليًّا على أبي بكر وعمر بحجة أن الأخيرين لم يواجها فتنة في زمانهما، بينما علي واجه الفتنة وثبت فيها،

فلما بلغ عليًّا ذلك صعد المنبر وخطب، فحمد الله وأثنى عليه، ثم أنكر أن يُفضَّل على أبي بكر وعمر، وصرّح أن خير الناس بعد النبي ﷺ هو أبو بكر ثم عمر، وهدّد بأن من يفضله عليهما بعد بيانه هذا، فعليه إثم المفتري. ثم ختم

بحكمة جامعة:

"أحبب حبيبك هونًا ما، عسى أن يكون بغيضك يومًا، وأبغض بغيضك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبك يومًا".

(٣)

عَنْ عَمْرِو بْنِ سُفْيَانَ، قَالَ: خَطَبَ رَجُلٌ يَوْمَ الْبَصْرَةِ حِينَ ظَهَرَ عَلِيٌّ، فَقَالَ عَلِيٌّ: هَذَا الْخَطِيبُ الشَّحْشَحُ، سَبَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ، وَثَلَّثَ عُمَرُ، ثُمَّ خَبَطَتْنَا فِتْنَةٌ بَعْدَهُمْ يَصْنَعُ اللهُ فِيهَا مَا شَاءَ. (مسند احمد، رقم ١٢٢٥)

الشرح اللغوي

الشَّحْشَحُ: الماهر في الخطاب، الفصيح اللسان.

صَلَّى: مشتق من "صلا"، وهو أسفل الظهر أو ما يقابل الورك من الخلف. ويُستعمل مجازًا بمعنى: أن يكون في الصف أو في المنافسة في المرتبة الثانية.

خَبَطَتْنَا: الخَبْط هو ضرب الشجرة بالعصا لإسقاط أوراقها، ويُستعمل أيضًا في معنى الضرب الشديد أو الدوس على الشيء بالقدم. جاء في القاموس المحيط(٨٥٧):

"خَبَطَه يَخْبِطُه: ضَرَبَه ضربًا شديدًا، وكذلك البعيرُ يضرب الأرضَ بيده، كما في تَخَبَّطَهُ، واخْتَبَطَهُ، ووَطِئَه وطئًا شديدًا"

الشرح والتوضيح

يظهر من السياق أن الخطيب ذكر في خطبته – على سبيل الفخر – انتصار سيدنا عليٍّ رضي الله عنه أو انتصار أصحابه، فرأى سيدنا علي أن من اللازم تنبيهه. والمقصود أن هذا ليس وقت الفرح أو الزهو، لأن عهد رسول الله ﷺ وعهد الخليفتين الأولين قد مضى في أمنٍ واجتماع كلمة، أما نحن فقد ابتُلينا بفتنة وامتحان، ولا يزال مآل هذا الابتلاء مجهولًا، ولا يُدرى ما الطريق الذي سنخرج به منه.

التخريج واختلاف الطُّرُق

رُوي هذا الأثر – إلى جانب طريق عمرو بن سفيان – من طرق عبد خير، وقيس بن سعد الخارفي، وعبد الله بن سلمة، وعمرو بن قيس، في المصادر الآتية: مسند احمد، رقم ٨٨١، ١٠٠٠- المستدرک على الصحيحين، رقم ٤٤٠٠- المعجم

الاوسط، للطبراني، رقم ١٦٥٥- طبقات المحدثين باصبهان، أبي الشيخ، رقم ٨٥٩- حلية الأولياء، أبي نعيم، رقم ٦٥٩٩- الشريعة، للآجري، رقم ١٧٧٢- السنة، عبد الله بن أحمد، رقم ١١٩٨، ١٢٠٥- فضائل الصحابة، ابن حنبل، رقم ٢٢٧، ٢٢٨- الطبقات الكبرىٰ، ابن سعد، رقم ٦٠٦٦- تاريخ دمشق، ابن عساكر ٣٠/٣٧٧، ٣٧٨- الفتن، نعيم بن حماد، رقم ١٨٦- الإغراب، للنسائي، رقم ٢١٩- السنة، ابن أبي عاصم، رقم ١٢٠٩- التاريخ الكبير، للبخاري، رقم ٧٧٩- الأحاديث المختارة، للمقدسي، رقم ٧٠٧- الأبانة الكبرىٰ، ابن بطة، رقم ١٠٤- الاعتقاد، للبيهقي، ٣٦١- تلخيص المتشابه في الرسم، الخطيب البغدادي ١/ ٣٥٣- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ١٥/ ٦٠- أنساب الأشراف، للبلاذري ٢/١٥٤، ١٠/ ٦٧-

وقد روي في بعض الطرق 'يَعْفُو اللهُ عَمَّنْ يَشَاءُ' مكان: 'يَصْنَعُ اللهُ فِيهَا مَا شَاءَ' ككلمة أخيرة للجملة.

(٤)

عَنِ الضَّحَّاكِ، ثنا النَّزَّالُ بْنُ سَبْرَةَ، قَالَ: وَافَقنَا عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ طَيِّبَ النَّفْسِ وَهُوَ يَمْزَحُ، فَقُلْنَا: حَدّثنَا عَنْ أَصْحَابِكَ، قَالَ: كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أَصْحَابِي، فَقُلْنَا: حَدّثنَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: ذَاكَ امْرَؤٌ سَمَّاهُ اللهُ صِدِّيقًا عَلَى لِسَانِ جِبْرِيلَ وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا.

(المستدرک على الصحيحين، رقم ٤٣٨٠)

الشرح

صِدِّيق: صيغة مبالغة من كلمة "صِدق"، ومعناها بلوغ درجة الكمال في الصدق والاستقامة. وقد عبّر النبي ﷺ عن هذا المعنى في حديثه بقوله: "وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِندَ اللهِ صِدِّيقًا" (صحيح مسلم، رقم ٤٨٢٧)، أي أن بعض الناس يظل يبحث عن الصدق ويلتزمه التزامًا تامًّا حتى يُكتب له عند الله مرتبة الصدِّيق.

وفي هذا المعنى، ورد ذكر هذه الصفة في القرآن الكريم للأنبياء أيضًا (مريم ١٩: ٤١، ٥٦)، كما وردت للذين يتقدّمون في تصديق الأنبياء ونصرتهم (النساء ٤: ٦٩، الحديد ٥٧: ١٩).

وكان سيدنا أبو بكر رضي الله عنه من أوائل من آمنوا بالنبي ﷺ، وقد وصفه

النبي ﷺ في مناسبة ما بصدق التزامه بالحق وحرصه عليه:

إني قلت :يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعًا، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت. (البخاري، رقم ٤٦٤٠)

وقد استُعمل في بعض المواضع لقب **"الصِّدِّيق"** للسيد أبي بكر رضي الله عنه (البخاري، رقم ٣٥١٦). وأما خلفية هذا اللقب كما ورد على لسان جبريل عليه السلام، فقد بيَّنتها الروايات على النحو الآتي: لما أخبر النبي ﷺ جبريل عليه السلام، بعد عودته من رحلة المعراج، عن تخوفه من أن أهل مكة سيكذبونه إذا قصَّ عليهم ما رأى، قال له جبريل عليه السلام:

"يصدقك أبو بكر، وهو الصديق". (الطبقات الكبرى، ابن سعد، رقم ٤٩٢)

وجاء بلفظ:

"سيصدقك أبو بكر، وهو الصديق".

التخريج واختلاف الطرق

رُوي هذا الأثر عن سيدنا علي رضي الله عنه من طريق نَزّال بن سُبرة في المصادر الآتية:

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي، رقم ٢٠٠٣.
- تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٣٠/ ٧٥.
- الشريعة، الآجري، رقم ١١٩٢.
- أسد الغابة، ابن الأثير، ٣/ ٢٢٠.

وقد حكم الإمام الحاكم بصحته، غير أن الإمام الذهبي نبَّه إلى أن في سنده **هلال بن العلاء**، وهو منكر الحديث) مختصر تلخيص الذهبي، ابن الملقن، رقم ٤٨٦، ٣/ ١١٤٣).

كما رُوي هذا الأثر من غير طريق نزال بن سُبرة، وذلك من طريق **أبي يحيى حكيم بن سعد**، في عدة مصادر، منها:

- المستدرك، رقم ٤٣٧٩.
- المعجم الكبير، الطبراني، رقم ١٤.
- الآحاد والمثاني، ابن أبي عاصم، رقم ٦.
- معرفة الصحابة، أبو نعيم، رقم ٥٩.
- تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٣٠/ ٧٥.

وجاء في ألفاظه:

"سمع عليًا يحلف: لأنزل الله تعالى اسم أبي بكر رضي الله عنه من السماء صديقًا."(المستدرك، رقم ٤٣٧٩)

أي: "سمع حكيم بن سعد سيدَنا عليًا يقسم أن الله تعالى أنزل من السماء لقب أبي بكر رضي الله عنه: الصدِّيق".

وفي سنده **محمد بن سليمان العَبدي**، وقد حكم عليه المحدثون بأنه مجهول. غير أن ابن منده وابن عساكر أخرجا له متابعًا من طريق **أبي إسحاق السَّبيعي** مجالس من أمالي أبي عبد الله بن منده، رقم ٣٨٧؛ (تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٣٠/ ٧٥).

(٥)

عَنْ أَسْمَاءَ بْنِ الْحَكَمِ الْفَزَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: كُنْتُ رَجُلًا إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ حَدِيثًا نَفَعَنِي اللهُ مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِي، وَإِذَا حَدَّثَنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَحْلَفْتُهُ، فَإِذَا حَلَفَ لِي صَدَّقْتُهُ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَقُولُ: مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: "وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ" إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

(سنن أبي داؤد، رقم ١٣٣٥)

الشرح والتوضيح

كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يتّبعون أساليب مختلفة في التثبّت من أحاديث الآحاد، وذلك بحسب علمهم وفهمهم وذوقهم الشخصي. فمثلًا: كان السيّد أبو بكر والسيّد عمر رضي الله عنهما، في القضايا المهمّة، يطلبان من الراوي الذي يروي حديثًا عن النبي ﷺ شاهدًا ثانيًا يؤكّد روايته، كما ورد في *صحيح البخاري* (رقم ٦٥٤٣) و*مسند أحمد*) رقم ١٧٦٧٠). أمّا علي رضي الله عنه، فيُستفاد من الأثر المذكور أنّه كان غالبًا يعتمد أسلوب استحلاف الراوي (أي طلبه الحلف على صدق ما يروي)، غير أنّه لم يطلب ذلك من أبي بكر رضي الله عنه، لما كان عنده من الثقة الكاملة بصدقه وأمانته.

التخريج واختلاف الطرق

وقد رُوي هذا الأثر في المصادر الآتية:

- سنن الترمذي، رقم ٤٠٨.
- سنن ابن ماجه، رقم ١٣٩٠.
- مسند أحمد، رقم ٢.
- السنن الكبرى للنسائي، رقم ٩٨٧٨.
- مسند الطيالسي، رقم ١.
- مسند الحميدي، رقم ١.
- المعجم الأوسط للطبراني، رقم ٥٩٠.
- مصنف ابن أبي شيبة، رقم ٧٥٢٩.

ويُقصد باختلاف الطرق أنّ هذه الرواية وردت بأسانيد وألفاظ متعدّدة في هذه المصادر، مع اتفاقها على أصل الحادثة.

(٦)

عَنْ صِلَةَ بْنِ زُفَرَ، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ أَبُو بَكْرٍ قَالَ: السَّبَّاقَ تَذْكُرُونَ، السَّبَّاقَ تَذْكُرُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا اسْتَبَقْنَا إِلَى خَيْرٍ قَطُّ إِلَّا سَبَقَنَا إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ. (المعجم الأوسط، للطبراني، رقم ٧٣٠٠)

الشرح والتوضيح

لقد ورد ذِكرُ هذه الخصلة من خصال سيدنا أبي بكر رضي الله عنه في الروايات المشهورة على لسان سيدنا عمر رضي الله عنه، الذي اعترف بهذه الفضيلة في حق أبي بكر في مناسبات متعددة.

فمن ذلك: أنه ذهب مرةً إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ليبلِّغه بكلمات الثناء التي قالها فيه النبي ﷺ، فإذا بأبي بكر قد سبقه بإبلاغه ذلك، فقال عمر رضي الله عنه:

"وما استبقنا إلى خيرٍ إلا سبقني إليه أبو بكر" (مسند أحمد، رقم ٤٠٣٣)

أي: ما تنافسنا في خير إلا كان أبو بكر أسبق مني إليه.

وكذلك في مناسبة أخرى، جاء عمر رضي الله عنه بنصف متاع بيته ليتصدق به، فعلم أن أبا بكر قد جاء بكل متاع بيته، فقال عمر الجملة نفسها. (مسند

الفاروق، لابن كثير، رقم ٨٠٢)

وفي مناسبة تجهيز الجيش للانطلاق لقتال الروم، ذكر عمر رضي الله عنه هذه الخصلة أيضًا في حق أبي بكر. (جامع الأحاديث، لجلال الدين السيوطي، رقم ٢٧٨٥٥)

التخريج واختلاف الطُّرق

يظهر أن هذا الأثر عن سيدنا علي رضي الله عنه قد رُوي في الغالب من طريق صلة بن زُفَر.

وقد رواه الطبراني، كما رواه أيضًا العصامي ومحِبُّ الدين الطبري، لكنهما نقلوه عن كتاب "الموافقة "لابن السمان.

- انظر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، للعصامي (٤٣٩/٢)
- الرياض النضرة في مناقب العشرة، للطبري (١٧٥/١)

(للبحث صلة ...)

بقلم: الأستاذ السيّد منظور الحسن

نقله إلى العربية: الأستاذ عثمان فاروق

انشقاق القمر: موقف الأستاذ غامدي

[مقتبس من حوار الأستاذ غامدي مع محمد حسن إلياس]
(الحلقة السادسة)

الآيات الإلهية في الأنفس والآفاق التي تجلّت على أيدي الأنبياء الكرام

النوع الثالث من آيات الله تعالى هو تلك العلامات الخارقة للعادة، المخالفة للمألوف، التي يخص بها أنبياءه عليهم السلام. وهي في حقيقتها مظاهر مدهشة تعجز العقول عن الإحاطة بها، تصدر مباشرة عن القدرة الإلهية، غير أن ظهورها يكون بوساطة الأنبياء، إذ يجريها الله تعالى على أيديهم، فيجعل زمام الأمر بين أيديهم، فما يقع في عالم الشهادة إنما يتم من خلالهم وبأمرهم.

ومن أروع الأمثلة على ذلك ما قصه القرآن الكريم في أمر الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام:

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾

(الدخان ٤٤: ٢٣-٢٤)

أي إن المراد أن يأخذ موسى عليه السلام بني إسرائيل وينطلق بهم، ثم يظل بعصاه يحافظ على بقاء البحر في حالة سكون وهدوء. وقد كتب أستاذنا الجليل جاويد أحمد غامدي في شرح هذا الأمر:

"قد جاء في كل من القرآن والكتاب المقدس تصريح بأن ماء البحر قد أزيح بريح عاصفة، ليفسح الطريق لموسى عليه السلام وقومه كي يمروا. ولذلك صدر إليه هذا الأمر، وبموجبه ما إن عبر بنو إسرائيل حتى عاد الماء المبتعد ليغمر

فرعون وجنوده الذين كانوا يتعقبونهم حتى بلغوا وسط البحر. وفي أسلوب هذا الأمر، إذا تأملت، ترى أنه كأن البحر في تلك اللحظة قد سُلم زمامه إلى النبي، فلا يهدأ إلا بإذنه." (البيان ج ٣ ، صـ ٣٤٨ -٤٨٤)

وهذه الآيات التي تجري على أيدي الأنبياء هي ما يعرف في الاصطلاح بـ"المعجزات".[١]

ولها منزلة البينات، أي الحجج الباهرة الواضحة التي تفرض سلطانها على العارف والعامي، وعلى المؤيد والمعارض على حد سواء. وأصحاب الفطرة السليمة والعقل المستنير لا يطلبونها ابتداءً، لكنها بالنسبة لهم عطية إلهية وزيادة في الإيمان. أما المنكرون والمعاندون فهم الذين يلحّون في طلبها، ولهذا فإن الله تعالى، وفق حكمته ومشيئته، يجريها تذكيرًا وتنبيها لهم، أو تأديبًا وتعذيبًا بحسب الحال.

وقد كتب أستاذنا الجليل في بيان هذه الحقيقة:

"إن شخصية النبي هي التجلي الأكمل للإنسانية، ودعوته قائمة على الفطرة الإنسانية. وما يقوله للناس إنما يقوله وفق أعلى معايير العقل والبصيرة، وفي الأمور التي غفلوا عنها أو نسوها. ثم إنه لا يستند في نبوته إلى أي خلفية من الأخذ أو الاكتساب البشري، ولذا فإن التعرف عليه لا يشكل صعوبة على أي صاحب فطرة سليمة. فإذا كانت قلوب الناس وعقولهم يقظة، فإن وجه النبي وصوته وحدهما معجزة. ومع ذلك، يمنحه الله أيضًا بينات من هذا القبيل، بحيث لا يبقى للمعاندين، وإن لم يقرّوا بألسنتهم، خيار إلا التصديق بصدقه."

(ميزان ١٣٣-١٣٤)

إن الإرشاد الذي يقدمه القرآن الكريم بشأن طبيعة المعجزات وحقيقتها يمكن تلخيصه في جملة نقاط، أولها أن هذه المعجزات وإن جرت على أيدي الأنبياء، فإنها من عند الله خالصة. فطبيعتها وأثرها وتوقيت ظهورها كلها تابعة لإذنه سبحانه، ولا يظهرها الأنبياء والرسل إلا حين يؤمرون بذلك. ودور النبي

---

[١] يجدر بالذكر أن القرآن الكريم لم يستخدم مصطلح المعجزة، بل عبّر عن هذا المعنى بلفظ الآية. وللاطلاع على تفصيلات أوسع حول مفهوم المعجزة، يرجى مراجعة الملحق رقم (١) في هذه المؤلّف.

فيها لا يتجاوز القيام بالفعل الذي يأمره الله به؛ كأن يضرب بعصاه الحجر، أو يلقيها على الأرض، أو يرمي حفنة من الرمل نحو جموع الكفار، أو يتلو كلام الله المنزل عليه.

وقد أشار الله تعالى في سورة المائدة إلى مشهد من مشاهد يوم القيامة حين يذكّر النصارى بالمعجزات التي منحها سبحانه لعيسى عليه السلام لإتمام الحجة عليهم. ويتكرر في هذا السياق لفظ 'بإذني' مرات عدة، للتأكيد على أن تلك المعجزات التي اتخذوها ذريعة لإشراكه في ألوهية الله إنما كانت صادرة عن أمره وإذنه وحده، وأن نسبتهم إياها إلى المسيح نفسه كانت جريمة لا تغتفر. قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة ٥: ١١٠)

في تفسيره لهذا الموضع من القرآن، أوضح الشيخ أمين أحسن الإصلاحي معنى إذن الله في المعجزات، فقال:

"هذه الأمور كلها سيخاطب الله تعالى بها عيسى عليه السلام يوم القيامة، لإقامة الحجة على النصارى. وكأن الحقائق ستكشف أمامهم بحضوره، فيتضح أن كل نعمة أنعم الله بها على عيسى وأمه، وكل معجزة أجراها على يديه، إنما كانت بأمره وإذنه سبحانه، وأن الله هو الذي أنقذه من المكائد التي دبّرها له اليهود. فإذا كان الله هو الذي فعل كل ذلك، وأكبر شاهد عليه هو عيسى نفسه، فبأي حجة جعلوه إلها؟ إن تكرار عبارة 'بإذني' هنا في غاية البلاغة؛ إذ سيعيدها الله في كل موضع، وليس أمام المسيح إلا أن يقول: آمنا وصدقنا. وحينئذ يتبين أن المعجزات التي اتخذوها ذريعة لتأليهه كانت كلها من عند الله، ومع اعتراف صاحبها نفسه بذلك، فلن يبقى للنصارى إلا الخزي والفضيحة."

(تدبر القرآن، ج ٢، صـ ٦٠٧)

ثانيا، لا يمكن اعتبار هذه المعجزات ضربا من المهارة العلمية أو الفنية، ولا يمكن ردها بوصفها خداعا بصريا أو من قبيل السحر والشعوذة. بل إن أهل الخبرة في هذه المجالات يعترفون بصحتها وقطعيتها، ويقرون بأنها فوق مستوى الاكتساب البشري وخارجة عن نطاق السحر.

وقد كتب أستاذنا الجليل في ذلك:

"لا يستطيع أحد أن يرد هذه المعجزات زاعما أنها سحر أو براعة علمية وفنية، لأن أهل هذه الصنائع أدرى الناس بحقيقتها، ومع ذلك فهم يعترفون بالعجز أمامها. والمعجزتان اللتان ذكرناهما آنفا في قصة موسى عليه السلام خير مثال على ذلك؛ إذ لمّا أراد فرعون أن يزيل أثرهما، بعث في أنحاء مملكته منادين ليجمعوا أمهر السحرة، ثم جاء بهم يوم الزينة ليقابلوا موسى. وكان يتوقع النصر، لكن ما إن رأى السحرة عصا موسى تبتلع ما صنعوه من سحر حتى خروا ساجدين وأعلنوا إيمانهم برب موسى وهارون. ولمّا كان هذا الإيمان قد ولد نتيجة معاينة الحقيقة بالعيان، كان راسخًا غاية الرسوخ. فلما هدّدهم فرعون قائلًا: لأقطعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف، ولأصلبنّكم على جذوع النخل على مرأى من الناس، إذا بأولئك السحرة – الذين كانوا قبل لحظات قليلة يطلبون منه الجائزة بتضرّع – يهتفون قائلين: بعدما أبصرنا الفرق بين القمر الخافت، والشمس المشرقة المنيرة، لم تعد تهمّنا أيّ شيء في هذه الدنيا، صاروا يقولون بثبات:

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾(طه ٢٠: ٧٢-٧٣) (ميزان، صـ ١٣٦)

من المقاصد العظمى للمعجزات أن تكون حجة قاطعة على المنكرين والمعاندين، خاصة أولئك الذين لا يلتفتون إلى دلائل العقل والفطرة، ويطالبون تعسفا بآية حسية. فإذا ظهرت هذه المعجزات، لم يبق لديهم عذر للانصراف عن الحق، حتى وإن جحدوها بألسنتهم، فإن قلوبهم وعقولهم تضطر إلى الإقرار بها. وهي أوضح من الشمس، تصلح أن تكون حجة على العام والخاص بلا استثناء.

ومن وجوه إقامة الحجة أيضا إتاحة فرصة إضافية للمنكرين كي يؤمنوا. فحين

يطالبون النبي بإنزال العذاب، ويجاهرون أمامه قائلين: إن كان ما تهددنا به حقا، فأتنا بالعذاب، يأتيهم الجواب أحيانا ليس بعذاب، بل بمعجزة حسية تذكّرهم بيقين وقوعه، وذلك رحمة من الله. فالمقصود أن من لم تفتح أعينهم على دلائل العقل والفطرة، قد تنفتح على مشاهدتهم لهذه الخوارق، فيتهيأون للإيمان.

ومن الأمثلة على ذلك ما وقع في قوم ثمود حين ظهرت الناقة. وقد كتب الشيخ أمين أحسن الإصلاحي في بيان ذلك:

"كانت هذه الناقة، كما أوضحنا، معيّنة كآية للعذاب استجابة لمطالبة القوم بإنزاله. وقد نص القرآن على أنه لما أقدم زعيم ثمود على عقرها، لم يكد يمضي ثلاثة أيام حتى داهمهم عذاب الله. إن تعيين آية للعذاب بدلا من إنزاله مباشرة، كان مظهرا لرحمة الله ورأفته؛ فهو بطيء في الغضب، سريع في الرحمة. ولهذا اختار أن يمنح القوم مهلة إضافية، لعلهم ينتبهون إن أرادوا، لكنهم بدلا من ذلك بلغوا غاية التجرؤ وأقدموا على عقر الناقة."

(تدبر القرآن، ج ٣ ، صـ ٣٠١-٣٠٢)

(للحديث صلة ...)

إعداد: د. محمد عمار خان ناصر/ د. سيد مطيع الرحمن
ترجمة إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

دراسة سنن ابن ماجة

[الاستفسارات المتعلقة بأحاديث سنن ابن ماجة وإجاباتها]

(الحلقة السابعة)

مطيع سيد: في باب العين، وردت رواية أن سهل بن حُنيف كان يغتسل، فرآه عامر بن ربيعة وقال: ما رأيتُ جسماً جميلاً كهذا قط، حتى عند النساء. فما إن قال ذلك حتى أصيب سهل بألم شديد وبدأ يتلوّى. فجِيء به إلى النبي ﷺ وهو على تلك الحال، فقال ﷺ بلهجة متأثرة: «أَيَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟!» ثم قال: «إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدعُ له بالبركة». (كتاب الطب، باب العين، رقم٣٥٠٩-) ثم طلب ماءً وأمر عامر بن ربيعة أن يتوضأ، ثم أمر أن يُصبّ ذلك الماء على سهل. اليوم، من المستحيل تقريباً أن نقول لأحد: فلان أصيب بعينك، فتوضأ وأعطنا الماء لنصبّه على المصاب، لأن ذلك قد يؤدي إلى مشكلات أو شجار.

عمار ناصر: السبب في أننا لا نفعل ذلك اليوم هو أن الناس لم يعودوا يؤمنون بهذه الأمور أو لا يتقبلونها، لكن من حيث المبدأ يمكن فعلها حتى اليوم. في ثقافتنا هناك أيضاً وسائل مشابهة، لكنها تختلف في الشكل، مثل أن تقوم بعض النساء بحرق الفلفل وتمريره أمام المصاب بالعين، أو غير ذلك من الوصفات الشعبية. فالحديث يثبت أن العين قد تنقل أثراً سيئاً، وأن إزالته بوسائل معينة أمر ممكن.

مطيع سيد: ورد في حديث أن في سورتي آل عمران وطه اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي الله به استجاب. (كتاب الدعاء، باب اسم الاعظم ، رقم ٣٨٥٦).

فما هو هذا الاسم الأعظم؟ وإذا كان اسماً لله فلماذا أبقاه النبي ﷺ مبهماً ولم يصرح به؟

عمار ناصر: ليس في الأمر إبهام مقصود. إذا جمعنا الروايات، نجد أن المقصود هو الألفاظ التي تتضمن ذكر ألوهية الله وعظمته. وكلمة «اسم» في العربية لا تعني مجرد اللفظ الذي يُسمّى به، بل قد تشير إلى الألفاظ التي تدل على الصفات. وهذه الصفات متعددة، وهي ليست تعاويذ، بل صفات الله تعالى. فأي لفظ يتضمن ذكر عظمة الله، وتوحيده، وألوهيته، فهو اسم الله الأعظم. فمثلاً، في مطلع آل عمران قول الله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، (نفس المصدر ٣: ٢)

وفي سورة طه قول الله :﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾، (نفس المصدر ٢٠: ٨) وأيضاً ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ﴾ (نفس المصدر ٢٠: ١١١) كلّها أمثلة على ذلك.

مطيع سيد: ورد أن ثلاثة أشخاص تُستجاب دعوتهم: دعوة المظلوم، ودعوة الوالد لولده ودعوة المسافر. (كتاب الدعا، باب دعوة الوالد و دعوة المظلوم، رقم ٣٨٦٢)

الأولى والثانية مفهومة، لكن ما سر استجابة دعوة المسافر، مع أنه قد يكون خرج لعمل دنيوي، كتجارة مثلاً؟

عمار ناصر: إذا كان السفر لطلب الرزق، فإن الشريعة لا تنظر إليه كمجرد نشاط دنيوي. المقصود في الحديث – بعمومه – هو الشخص الذي يخرج من بيته وأهله لتحصيل معاشه وتلبية حاجات أسرته، فهذا في نظر الله نشاط صالح وعمل خير عظيم. أما من يسافر لمعصية فليس داخلاً في ذلك، لكن من يتحمل مشقة السفر من أجل الكسب الحلال وأداء واجباته فهو محبوب عند الله.

مطيع سيد: ورد عن النبي ﷺ قوله: «الرؤيا على جناح طائر ما لم تُعَبَّر»(كتاب تعبير الرؤيا،باب الرؤيا اذاعبرت وقعت فلا يقضها الا على وادٍ، رقم ٣٩١٤) فما معنى ذلك؟

عمار ناصر: المعنى أن الرؤيا تحتمل الغموض في تأويلها، فإذا فُسّرت بتأويل حسن كان لذلك أثر في وقوعها على ذلك المعنى، لذا نصح النبي ﷺ ألا يُحدّث المرء برؤياه إلا من يثق بفهمه وحكمته، وخاصة ألا يرويها لمن قد يفسّرها تفسيراً

سيئاً. فكما أن الفأل الحسن يؤثر إيجاباً، فكذلك تعبير الرؤيا الحسن يكون له أثر إيجابي.

مطيع سيد: لكن ملك مصر رأى رؤيا، وفسّرها الكهنة بأنها أضغاث أحلام، ولم يؤثر تفسيرهم هذا على تحققها.

عمار ناصر: الكهنة لم يقدّموا تفسيراً أصلاً، لأنهم لم يفهموا الرؤيا، فقالوا إنها أضغاث أحلام. ولو أرادوا لتفسيرها تفسيراً سلبياً، لقالوا مثلاً إن البلاد ستتعرض لكارثة، ولصدّقهم الملك، لكن يوسف عليه السلام قدّم التفسير الصحيح الذي تضمّن التحذير من الأزمة مع بيان الحل.

مطيع سيد: في حديث، قال ﷺ لأبي ذر: إذا وقع القتل والفتن فالزم بيتك، فقال: فإن دخل عليّ الفاسدون؟ قال: «فإن خِفتَ بريق سيفه فألقِ بطرف ردائك على وجهك» – أي لا تدافع حتى بالقتل – «ليكون إثم القاتل والمقتول عليه» (كتاب الفتن، باب التثبت فى الفتنة ،رقم:٣٩٥٨) فلماذا منعه من الدفاع عن نفسه؟

عمار ناصر: المقصود هنا حالة خاصة جداً، وهي الفتنة التي يقتتل فيها المسلمون دون وضوح تام للحق مع أحد الأطراف. في هذه الحال، الأولى ترك القتال حتى في الدفاع عن النفس، اتقاءً لقتل مسلم بغير برهان بيّن. فهذا من باب العزيمة، لا من باب نفي حق الدفاع المشروع مطلقاً.

مطيع سيد: ورد أن خير الناس رجل على فرس في سبيل الله، ورجل في شعف الجبال يعبد الله بعيداً عن الناس. (كتاب الفتن، باب العزلة، رقم٣٩٧٧) أليس هذا أسلوبان متناقضان للحياة؟

عمار ناصر: ليس المقصود المقارنة بينهما، بل المقارنة مع حياة المدن المليئة بالفتن، حيث يكثر القتال بين المسلمين أو التنافس على الدنيا. فالخلاص يكون إما بالجهاد الصادق في سبيل الله أو بالعزلة في عبادة الله بعيداً عن الفتن.

مطيع سيد: الحديث المشهور عن افتراق الأمم إلى ٧١ و٧٢ فرقة، وأن أمة النبي ﷺ ستفترق إلى ٧٣ فرقة، واحدة ناجية، وهي «الجماعة» (كتاب الفتن، باب الافتراق الامم ، رقم٣٩٩٢).

من هي الجماعة؟

عمار ناصر: المقصود بالجماعة في الجانب السياسي هو السواد الأعظم من المسلمين وعدم شق صفهم. وفي الجانب الديني، المعيار هو «ما أنا عليه وأصحابي»، أي اتباع ما كان عليه الصحابة الموثوقون. لكن في عصرنا يصعب تحديد جماعة واحدة تمثل ذلك مئة بالمئة، فيبقى المعيار هو القرب من منهج الصحابة، دون تعصب أو تكفير لبقية الفرق.

مطيع سيد: قال ﷺ للنساء: تصدّقن وأكثرن الاستغفار، فقد رأيتكن أكثر أهل النار... وذكر أنهن «ناقصات عقل ودين». (كتاب الفتن، باب فتنة النساء، رقم ٤٠٠٣). فهل هذا أصل عام في كل شأن؟

عمار ناصر: لا، فالنبي ﷺ لم يكن بصدد تقرير قاعدة فقهية أو قانونية، بل يذكّر النساء بأنهن أقل خبرة في شؤون الحياة العامة، ويحتجن أحياناً إلى مساعدة حتى في الشهادة، ومع ذلك لهن تأثير كبير على الرجال.

مطيع سيد: ورد أن «دابة الأرض» ستخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان، فتوسم المؤمن والكافر. (كتاب الفتن، باب دابة الارض، رقم ٤٠٦٦).

لماذا هذا الحكم في الدنيا وهي دار ابتلاء وليست دار جزاء؟

عمار ناصر: هذه من علامات الساعة الكبرى، وهي خوارق عادات تظهر قرب نهاية الدنيا لإقامة الحجة النهائية، إذ يغلب الكفر في الأرض، فيرسل الله هذه العلامات العظمى قبل طيّ بساط الحياة.

مطيع سيد: لماذا لم يذكر القرآن علامات الساعة الكبرى إلا قليلاً، مع أن تركيزه على الآخرة كبير؟

عمار ناصر: لأن المخاطبين الأوائل كانوا بحاجة أولاً لترسيخ الإيمان بالآخرة نفسه، إذ كانوا في غفلة عنها. فالتركيز القرآني جاء لإحياء شعور المسؤولية أمام الله، وهو ما يهاجمه الإلحاد حتى اليوم.

مطيع سيد: أجد غريباً أن مشركي مكة كانوا يؤمنون بالله لكن لا يؤمنون بالآخرة...

عمار ناصر: نعم، في الديانات الإبراهيمية لا يكتمل معنى الإيمان بالله إلا مع الإيمان بالرسالة والآخرة. أما في أديان وفلسفات أخرى فيُفصل بينهما، ويُكتفى بفكرة الإله دون بعث.

مطيع سيد: ورد أن النبي ﷺ رأى أصحابه يبنون بيتاً، فقال: أرى الموت أقرب من ذلك. (كتاب الزهد، باب فى البناء و الخراب ،رقم ٤١٦٠).

فهل الإسلام لا يهتم بالعمران؟ وهل محق الغرب حين يقول إنه لم يتقدم إلا بالتخلص من الدين؟

عمار ناصر: الإسلام لا يمنع التمدن والعمران، لكنه يذكّر دائماً بأن الدنيا ليست الغاية، وأن التوازن مطلوب بين القوة الحضارية والحفاظ على الهدف الأعلى، وهو الآخرة. فالرسول ﷺ حذّر من الانشغال بالدنيا لكنه لم يمنع الأخذ بأسباب القوة.

(للحديث صلة ...)

إعداد: الدكتور شهزاد سليم
ترجمة من الإنجليزية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

تاريخ جمع وتدوين القرآن الكريم: دراسة نقدية

(الحلقة الثانية)

في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، استُشهد عدد كبير من حفّاظ القرآن في معركة اليمامة، مما أثار الخوف من ضياع أجزاء من القرآن إن لم يُدوَّن. فأقنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا بكر بضرورة جمعه، وكلّف زيد بن ثابت رضي الله عنه بهذه المهمة. فقام زيد بجمع القرآن من الرقاع والعظام وغيرها، وأعدَّ مصحفاً كاملاً بقي محفوظًا عند أبي بكر، ثم عند عمر، ثم عند ابنته أم المؤمنين حفصة رضي الله عنهم جميعاً.[٢٥]

وقد أتلفه فيمابعد الخليفة الأموي مروان بن الحكم (توفي ١٠٥هجرية) بسبب مظنة أن يفتتن به الناس.[٢٦]

وتقول بعض الروايات [٢٧] أنه في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ظهرت خلافات في قراءة القرآن بين جنود الشام والعراق أثناء جهادهم في أرمينيا وأذربيجان. فأرسل الصحابي حذيفة بن اليمان رضي الله عنه إلى عثمان محذراً من فتنة قد تقع. عندها استعار عثمان المصحف الموجود عند حفصة، وشكّل لجنة من أربعة أشخاص لنسخ مصاحف موحَّدة بلسان قريش، وأرسلها إلى الأمصار، وأمر بإتلاف ما عداها من المصاحف غير الموحَّدة.

لكن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه – وكان في الكوفة – رفض تسليم مصحفه، [٢٨] ويُروى عنه حسب رواية [٢٩] أنه قال إن في مصاحف عثمان لحناً (أخطاء لغوية)، لكنه لم يرَ حاجة لتصحيحها، لأن العرب-كماقال- يصححونها بألسنتهم.[٣٠] وهناك رواية [٣١] تحكي لنا كيفية تدوين مصاحف عثمان.[٣٢] على أن

هناك روايات تقول إن عثمان لم يعتمد مصحفا جمعه أبوبكربل استأنف عملية التدوين من جديد.[٣٣] وهي روايات لم تحظ بالقبول عند عامة أهل العلم.

تميزت مصاحف عثمان بأمرين:

١. وجود بعض الاختلافات في شكل الحروف لتحتمل القراءات المتعددة التي سمعها الصحابة من النبي ﷺ.[٣٤]

٢. خلوها من التشكيل والنقاط، لتوسيع مجال القراءات المعتمدة من النبي ﷺ،

يرى العلماء المسلمون[٣٥] أن هذين الشكلين من القراءات المختلفة مشروعان استنادًا إلى بعض الروايات النبوية التي تقول إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف[٣٦] وذلك رغم أن المعنى الدقيق لهذه الروايات غير معلوم على وجه اليقين.[٣٧] لأن معنى حديث "أنزل القرآن على سبعة أحرف" لا يزال غامضاً حتى اليوم.

ولمواجهة احتمال الخطأ في القراءة، بدأت مرحلة **إضافة التشكيل** والنقاط بعد النبي ﷺ بحوالي ٣٠ عاماً:

- **أول من أدخل التشكيل** هو الشاعر واللغوي البصري أبو الأسود الدؤلي (توفي ٦٩هـ)، بتوجيه من زياد بن أبيه.[٣٨] وكان واليا لأمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. (توفي في ٦٠ هـ)
- **ثم أُدخلت النقاط** في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) بواسطة الحجاج بن يوسف الثقفي، (توفي في ٩٦هـ) ويُقال حسب رواية إنه استدعى نصر بن عاصم الليثي (توفي في٨٩هـ) لإنجاز هذه المهمة [٣٩]وحسب روايات أخرى إن يحي بن يعمر (توفي في٨٩هـ) ومحمد بن سيرين (توفي في ١١٠ هـ) أيضا استدعيا لذلك.[٤٠]
- **ثم طوَّر الشكل النهائي للتشكيل** الخليل بن أحمد الفراهيدي [٤١] (توفي ١٧٠ هـ) صاحب أول معجم في اللغة العربية "كتاب العين، وعليه أُعيد تصميم شكل الحركات لتحسين قابلية القراءة وتوفير تجربة قراءة أكثر راحة وسلاسة".[٤٢]

ويُروى في إحدى الروايات أن الحَجّاج بن يوسف (توفي سنة ٩٥ أو في ٩٦ هـ) غيّر في القرآن في أحد عشر موضعًا في عهده[٤٣]. غير أنه لم يعتبرأي من العلماء

المسلمين هذه الرواية صحيحة أو موثوقة.[٤٤]

وما سبق أعلاه هو رأي علماء المسلمين التقليديين بخصوص جمع القرآن. ومن المهم أن نُشير إلى أن هؤلاء العلماء يكادون يُجمعون على أن ترتيب الآيات داخل السور قد تم بوحيٍ إلهيّ في حياة النبي ﷺ، إلا أنهم يَرون في الغالب أن ترتيب السور نفسها قد تم في عهد الصحابة في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه.[٤٥] ومن أبرز الأدلة التي يستند إليها هذا الرأي رواية تُنسب إلى عثمان رضي الله عنه [٤٦] يُروى فيها أنه رتّب سورتي الأنفال والتوبة باجتهاده الشخصي.[٤٧]

وعليه، فإن الرأي السائد في التراث الإسلامي هو أن الخليفة عثمان رضي الله عنه هو الذي تولى مسؤولية إخراج "النص القياسي الجامع المانع من (textus receptus ne varietur) الاختلاف" للقرآن الكريم

وهو لا يختلف في مضمونه عن القرآن الذي أُوحي إلى النبي ﷺ، مكتوبًا بلهجة قريش، ومرتّب السور على النحو الذي استقر عليه الصحابة رضي الله عنهم.

وفي العصر الحديث، شكّك بعض الباحثين المسلمين مثل المولانا عبد اللطيف الرحماني (توفي سنة ١٩٥٩م)، والمولانا تمنّا العمادي (توفي سنة ١٩٧٢م)، وأبي القاسم الخوئي (توفي سنة ١٩٩٢م)، (والأمام شبيرأحمد أزهرالميرتهي المتوفي في٢٠٠٥م أيضا، المترجم) في الروايات التي تتحدث عن جمع القرآن في عهدي أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما. وتنصبّ انتقاداتهم على وجود عيوب في كلٍ من متن هذه الروايات وأسانيدها.[٤٨]

كما شهد القرنان الماضيان نشاطًا بحثيًا مكثفًا من قِبل المستشرقين الغربيين حول قضية جمع القرآن. وقد تباينت رؤاهم تبعًا للمنهجيات التي تبنّوها، والمتأثرة بروح العصر السائدة في فترات دراساتهم. ويمكن تصنيف الدراسات الغربية حول جمع القرآن إلى فئتين رئيسيتين: الأولى تضم أولئك الذين استندوا – ولو جزئيًا – إلى الروايات الإسلامية التقليدية في بناء تصوّرهم، وسنُطلق عليهم وصف "المستشرقين التقليديين"، أما الفئة الثانية فتضم من رفض الروايات الإسلامية كليةً، وطرح بدائل مختلفة حول كيفية تشكّل وجمع النص القرآني[٤٩] وسنُطلق عليهم وصف "المستشرقين الراديكاليين".

وبما أن هذا البحث يقوم على التحليل النصي والنقدي للمصادر والنصوص الأصلية، فلن يتم تناول آراء المستشرقين الراديكاليين بالنقد والتحليل ضمن هذه الدراسة، غير أنني قمت بتلخيص مواقفهم في **الملحق (ب)** الوارد في نهاية هذا الكتاب.

الحواشي:

٢٥- انظر، على سبيل المثال: البخاري، *الجامع الصحيح*، ج ٤، ص ١٩٠٧، (رقم ٤٧٠١)؛ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، *السنن الكبرى*، الطبعة الأولى، ج ٥ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١م)، ص ٧، (رقم ٧٩٩٥)؛ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، *السنن*، ج ٥ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ب.ت)، ص ٢٨٣، (رقم ٣١٠٣).

٢٦- انظر، على سبيل المثال: أبو عبيد القاسم بن سلام، *فضائل القرآن*، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١م)، ص ١٥٦؛ ابن أبي داود، *كتاب المصاحف*، ص ٣٢.

٢٧- انظر، على سبيل المثال: البخاري، *الجامع الصحيح*، ج ٤، ص ١٩٠٨، (رقم ٤٧٠٢)؛ الترمذي، *السنن*، ج ٤، ص ٢٨٤، (رقم ٣١٠٤)؛ النسائي، *السنن الكبرى*، ج ٥، ص ٦، (رقم ٧٩٨٨)؛ عمر بن شبة، *أخبار المدينة*، ج ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م)، ص ١١٧–١١٨، ١٢٢–١٢٣؛ عبد الله بن وهب، *جامع علوم القرآن*، الطبعة الأولى، ج ٣ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م)، ص ٢٦–٢٧.

٢٨- انظر، على سبيل المثال: أبو عبيد، *فضائل القرآن*، ص ١٥٧. ويتناول الفصل الثامن من القسم الأول بالنقد والتحليل الروايات التي تصف رفض عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

٢٩- انظر، على سبيل المثال: أبو عبيد، *فضائل القرآن*، ص ١٥٩–١٦٠.

٣٠- يتناول الفصل التاسع من القسم الأول بالنقد والتحليل هذه الرواية وبعض الروايات المشابهة لها.

٣١- انظر، على سبيل المثال: أبو عبيد، *فضائل القرآن*، ص ١١٩–١٢٠.

٣٢- يتناول الفصل العاشر من القسم الأول هذه الرواية بالنقد والتحليل.

٣٣- انظر، على سبيل المثال: ابن أبي داود، *كتاب المصاحف*، ص ٢٩–٣٠؛

نفس المصدر، ص ١٩؛ أبو عبيد، *فضائل القرآن*، ص ١٥٧.

٣٤- يتناول الفصل الثالث عشر من القسم الأول الروايات التي تصف هذه الاختلافات بالنقد والتحليل.

٣٥- انظر، على سبيل المثال: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم أبو شامة، *المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز*، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م)، ص ١٣٣؛ فضل حسن العباس، *إتقان البرهان في علوم القرآن*، الطبعة الأولى، ج ٢ (عمان: مكتبة دار الفرقان، ١٩٩٧م)، ص ١٤٥–١٤٦؛ الزرقاني، *مناهل العرفان*، ج ١، ص ٢٨٩–٢٩٠.

٣٦- انظر، على سبيل المثال: مالك بن أنس، *الموطأ*، ج ١ (مصر: دار إحياء التراث العربي، ب.ت)، ص ٢٠١، (رقم ٤٧٣).

٣٧- يتناول الفصل السادس عشر من القسم الأول هذه الروايات بالنقد والتحليل.

٣٨- انظر، على سبيل المثال: أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن الأنباري، *إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله*، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٧م)، ص ٣٥–٣٦.

٣٩- انظر: أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، *شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف*، الطبعة الأولى (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، ١٩٦٣م)، ص ١٣.

٤٠- انظر، على سبيل المثال: موسى شاهين لاشين، *اللآلئ الحسان*، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢م)، ص ٦٨.

٤١- انظر، على سبيل المثال: أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني، *المحكم في نقط المصاحف*، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م)، ص ١٤؛ وانظر أيضًا: أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوي، *ألف باء*، ج ١ (القاهرة: جامعة المعارف، ١٢٨٧هـ)، ص ١٧٦.

٤٢- يتناول الفصل الخامس عشر من القسم الأول تطورات الخط العثماني الأولى المتعلقة بالتنقيط والتشكيل بالنقد والتحليل.

٤٣- انظر: ابن أبي داود، *كتاب المصاحف*، ص ٥٩؛ نفس المصدر، ص ١٣٠.

وقد اعتمد بعض الباحثين الغربيين على هذه الرواية ليرجحوا أن الحجاج كان مسؤولًا عن مراجعة جزئية لنص القرآن. انظر، على سبيل المثال: AFL Beeston، TM Johnstone، RB Serjeant و GR Smith محررون (، *الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي* (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، ١٩٨٣م)، ص ٤٣؛ جون جلكريست، *جمع القرآن - تقنين نص القرآن* (موندور: MERCSA، ١٩٨٩م)، ص ١٠٧–١٠٨.

٤٤- يتناول الفصل الثاني عشر من القسم الأول هذه الرواية بالنقد والتحليل.

٤٥- السيوطي، *الإتقان*، ج ١، ص ٢٠٨، ٢١٦.

٤٦- انظر، على سبيل المثال: الترمذي، *السنن*، ج ٥، ص ٢٧٢، (رقم ٣٠٨٦).

٤٧- يتناول الفصل السابع من القسم الأول بالنقد والتحليل الرواية التي تُنسب إلى عثمان بن عفان في هذا السياق.

٤٨- وقد تم عرض أبرز حججهم وتحليلها في الفصول المناسبة من هذه الرسالة. أما التراجم المختصرة لهؤلاء العلماء، فانظر الملحق "أ" في نهاية الكتاب.

٤٩- ومن أبرز الباحثين الذين رفضوا الرواية الإسلامية التقليدية لجمع وتكوين القرآن بالكامل: ألفونس منغانا (ت. ١٩٣٧م)، غونتر لولينغ (م. ١٩٢٨م)، كريستوف لوكسنبرغ، جون وانسبرو (ت. ٢٠٠٢م)، يهودا نيفو (ت. ١٩٩٢م)، وجون بيرتون (ت. ٢٠٠١م).

(للحديث صلة ...)

دكتور محمد غطريف شهباز الندوي

دراسة نقدية لتفسير «مفتاح القرآن الكريم» للعلامة شبير أحمد أزهر الميرتهي

(الحلقة الخامسة والأخيرة)

يقول المفسر الميرتهي رحمه الله :

"يبدو من المناسب أن يقرأ القراء الكرام هذه القصة (أي قصة نوح عليه السلام وقومه) كما وردت في العهد القديم من الكتاب المقدس، سفر التكوين. أقتبس ملخصها: "ولما بدأ الناس يتكاثرون على وجه الأرض، وولد لهم بنات، رآهم أبناء الله، فأغواهم ليتزوجوهم، فولدوا لهم أبناء. فصاروا عظماء وأقوياء، وتفشى الشر بينهم. ثم ندم الرب على خلقه الإنسان على الأرض، وندم ندمًا شديدًا على خلقه، وعزم على إهلاكه، إلا نوحًا، لأنه كان مرضيًا لله".

وتعليق الميرتهي على ذلك هو: "كما ترى، وفقًا لهذا البيان، لم يكن شعب نوح بشرًا، بل وُلدوا من أبناء الله وبنات البشر". [٤٥] هذه الملاحظة المقارنة طويلة جدًا وتمتد إلى أربع صفحات.

ثم نقد مفسرنا قصة يونس عليه السلام المشتهرة على ألسن الناس بأنّه هرب وأفل من قومه بغير إذن من الله، وقال مامفاده: إن القصة شايعة فقط وليست مؤصّلة في القرآن ولا الحديث ولا الكتاب المقدس، وذهب إلى أنّ نبوّة يونس عليه السلام كانت قد اعطيت له بعد حادثة البحر، وأنّ الحادثة كانت واقعة قبل النبوة.[٤٦]

وفاة النبي سليمان: من المعلوم أن وفاة سليمان لم تكن معروفة، ويقال إنه كان يُشرف على أعمال البناء بواسطة الجن عندما فاجأه الموت، وعلم الجن بذلك

عندما أكل نمل أبيض عصاه فسقط. نفى المؤلف هذه الرواية، واستدلاله يقوم على حقيقة أن وفاة سليمان كانت طبيعية. لأنه كان ملكًا، ومن المستحيل تمامًا أن يقف طويلًا متكئًا على عصا دون أن يكون بينه وبين أحد من حريمه ورجال بلاطه علاقة ورابطة! ووفقًا للمؤلف، فإن كلمة "تأكل منسأته " تعني ابن سليمان - رجعام- الذي كان ليس له جدارة بتسييرالأموروسياسة البلاد، وبسبب عدم أهليته انهار قصر السلالة السليمانية. (٤٧)

المناقشات النحوية والصرفية: من سمات تفسير مفتاح القرآن التي جعلت هذا التفسير صعبًا ومعقدًا على عامة المتعلمين والدارسين أو العلماء غير العرب هي المناقشات النحوية والصرفية، التي اهتم بها المؤلف بعناية ودقة كبيرتين. كان مدركًا لهذه الصعوبة ولذلك ذكر في مقدمة تفسيره: "بالطبع، هنا وهناك، تكلمت على بعض الأمور الفنية في هذاالتفسير إذا احتجت إليها مثل التركيب أو البحث اللغوي والنحوي. ومن الواضح أن هذا شيء يمكن أن يفهمه علماء العرب أو المطلعون على الاساليب العربية فقط. يجب على الدارسين غير االمطلعين على العربية ببساطة تجاهله في دراساتهم أو سؤال عالم عربي لفهمه." (٤٨) في الواقع، هذا الشيء شائع جدًا في تفسيرات السلف وقد اهتم به كل مفسر من السلف تقريبًا. على وجه الخصوص، اهتم به أبوحيان الأندلسي والزمخشري كثيرًا. واتباعًا للسلف، اهتم به االمفسر الميرتهي أيضًا كثيرًا في التفسير بأكمله. لأن العلماء والباحثين في الدراسات العربية كانوا مخاطبيه الأولين. ويرى أن البحث الصرفي والتركيب النحوي للآيات القرآنية مهمان للغاية لفهمها الصحيح. وهناك العديد من المواضع التي استخرج فيها الناس بعض المعاني من مواضع أخرى بسبب عدم فهم التركيب الصحيح. وفي هذا الصدد، كان لدى العلامة المزيد من الشكوك حول كتاب "تفهيم القرآن الكريم للأستاذ المودودي"، الذي قال إنه مليء بالأخطاء العربية والأخطاء الصرفية والنحوية. ومع ذلك، يرى هذا الكاتب أن جمهور المولانا المودودي المستهدف كان هو الطبقة المثقفة المعاصرة وعامة الناس، الذين لم يكن لهم علاقة بهذه المناقشات الدقيقة. وهذا هو السبب في أن "تفهيم القرآن" هو مفهوم وسهل الهضم و شائع وأن "مفتاح القرآن" أصبح صعبًا على الطبقة المعاصرة على الرغم من كل فضائله. ومع ذلك، فإن دراسته لا غنى عنها لعلماء

القرآن والمحققين والباحثين. فإن الكاتب يرى فيها قيمة عالية للمتخصصين.

لقد عرضنا هذه الأمثلة والنماذج القليلة من تفسير مفتاح القرآن الكريم، وإلا فهناك مخزونٌ كبيرٌ من اجتهادات المؤلف، وبحوثه في التراث التفسيري، والمعاني والمفاهيم الجديدة، وهو ما يزخر به هذا التفسير. وقد استُشهد بهذه الأمثلة القليلة كنماذج من القرآن الكريم حتى لايكتئب القارئ والدارس، وإلا فهناك مئات المواضع في هذا التفسير التي لم يقبل فيها المفسر تفسيرات المفسرين السابقين واللاحقين، وقدم تفسيره الخاص. وقد اعتمد في هذا الصدد على الرواية الصحيحة، ونقد الحديث، والمعرفة، والأسلوب العربي، والشعر، وحسن القلب. تُظهر هذه الدراسة السريعة لتفسير مفتاح القرآن بوضوح أصالة قولَ المؤلف: "ولكن على الرغم من كل هذه الجهود القيّمة والجديرة بالمفسرين السابقين واللاحقين، فإنه من غير المناسب افتراض أن الكثير من العمل قد تم في ترجمة وتفسير القرآن الكريم إلى الأردية أو العربية أو أي لغة أخرى بحيث لا يكون نشر ترجمة جديدة أو تفسير جديد استخدامًا مناسبًا للوقت والجهد. والحقيقة هي أن ما تم القيام به قليل جدًا وغير كافٍ. وهناك حاجة إلى العمل المستمر وبذل الجهود في هذا الصدد." [٤٩]

ووفقًا للمؤلف، في هذا التفسير بعض الجوانب الضعيفة أيضًا. على سبيل المثال:

١. هناك الكثير من التفاصيل والإسهاب في الأقسام الافتتاحية من التفسير، مما يربك القارئ أحيانًا.

٢. تم تركيب معظم الآيات نحويًا ودلاليًا. ومن الواضح أن هذا لا يمكن أن يكون إلا عمل مفهوم لعلماء اللغة العربية. كان من الأنسب لو أُدرج هذا العمل في الحواشي بدلًا من نص التفسير، ليحافظ القارئ العادي على استمراريته، وليطلع عليه المهتمون إذا أرادوا.

٣. كثيرًا ما استخدم المؤلف الكثير من التفصيل والتوسع في بحثه وتحليله للأحاديث التفسيرية. فعلى سبيل المثال، في شرحه لمن هم أهل البيت في القرآن الكريم، تناول جميع الأحاديث الواردة في كتب التفسير والحديث، والتي تشمل أيضًا عليا (رضي الله عنه)، وفاطمة (رضي الله عنها)، والحسن والحسين (رضي الله عنهما) من أهل البيت.[٥٠] وقام بردّ وتفنيد كافة الروايات في هذا الصدد

باستخدام دقيق لقواعد الرواية والدراية كليهما.

واختتم هذه الدراسة الوجيزة بالإشارة إلى أنّ التفسير-مفتاح القرآن الكريم- يمتلئ بالمباحث الصرفية والنحوية، رغم صعوبة ذلك على الكثيرين، فاقترح أن يوضع في الهوامش.

أخيرًا، يذكر المقال أنّ هذا الكتاب يُعد ذا قيمة كبيرة، يرفع الغطاء عن المعاني الخفية في القرآن، رغم قصوره في بعض الجوانب؛ ويدعو الباحثين إلى مواصلة الاجتهاد في هذا المسار فإن المباحث الغائرة في هذا التفسير عظيمة، وإن كانت موجزة بعضُها، لكنّها فاتحة لتكملة الدراسات القرآنية وتعميقها. والجدير بالذكر هنا أن هذا العمل التفسيري الجليل قد تم طبعه ونشره بعد وفاة المؤلف رحمه الله في مجلدات خمسة، تم إخراج ونشر الأربعة منها. الخامس منها قيد الطبع. ويريد هذاالكاتب أن يقوم مستقبلاً بنشر ملخص شامل لتفاسير مختارة من مفتاح القرآن الكريم للقراء العرب،وفقني الله لمايحب ويرضاه.

الهوامش:

٤٥- شبير أحمد الميرتهي، *مفتاح القرآن*، المجلد الثالث، ص١١٩.٤٥

٤٦- شبير أحمد الميرتهي، *مفتاح القرآن: تفسير الآية* ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، المجلد الرابع، ص٥٥٨.

٤٧- شبير أحمد الميرتهي، مقال"وفاة سليمان عليه السلام"٤٧، *مجلة إشراق*، دالاس – أمريكا، يناير ٢٠٢٤؛ النسخة الإنجليزية نُشرت في *إشراق English Edition* – ، فبراير ٢٠٢٤.

٤٨- شبير أحمد الميرتهي، *مفتاح القرآن*، المجلد الأول، الطبعة الثانية، المقدمة، ص١٣.٤٨

٤٩- المصدر نفسه، ص١٤.

٥٠- شبير أحمد الميرتهي، *مفتاح القرآن: تفسير آية أهل البيت، سورة الأحزاب*، المجلد الرابع، ص٣٧١–٣٨٣؛ وانظر كذلك: محمد غطريف شهباز الندوي، مقال "من المقصود بأهل البيت في القرآن؟" *مجلة إشراق الأردية*، لاهور، يناير–فبراير ٢٠٢٤

وجهات نظر

تحقيق: العلامة شبير أحمد أزهر الميرتهي

عرض وتقديم: د. محمد غطريف شهباز الندوي

هل تأثّر النبي ﷺ بالسحر؟

[هذا العمود المعنون بـ"وجهات نظر" مخصص لكتابات مختلف أصحاب الفكر وتعبر عن آراء أصحابها وليس من الضروري أن تتفق المؤسسة مع المقالات المنشورة تحته]

من المواضيع اللتي دايمًا تُستخدم للهجوم على الإسلام، فكرة إن النبي محمد ﷺ تأثّر بالسحر في يوم من الأيام، وبالتالي –حسب المنتقدين– ما نقدر نثق بكلامه أو بوحيه. والمثير في الموضوع؟ إن الناس اللذين يروجون لهذالكلام، سواء كانوا متأثرين بالإسلاموفوبيا، أو كانوامستشرقين، أو حتى مسلمين سابقين، كلهم يستندون إلى مصادر إسلامية "معتمدة" عند كثير من المسلمين التقليديين. يعني ما نقدر نقول إنها مصادر ضعيفة أو مدسوسة.

لكن المشكلة الحقيقية ليس في أعداء الإسلام، بل في طريقة تعامل المسلمين مع تراثهم. كثير من المسلمين يشوفون الكتب مثل صحيح البخاري وكأنها كتب مقدسة، مع إنها كتب من عمل البشر، فيها الصحيح وفيها اللذي يحتاج إعادة نظر. هذا الجمود خلّى العقل المسلم يعيش في حالة ارتباك، عاجز عن مواكبة العصر الحديث ومنطقه.

الرواية باختصار:

الرواية تقول إن ساحراً اسمه لبيد بن الأعصم –وكان في المدينة– سحر النبي ﷺ، وإنه صار ينسى أشياء أو يتخيّل أشياء، خصوصًا في حياته الشخصية. بعض الروايات تقول إن السحر دام ستة شهور! وبعدين، حسب الحديث، جاءه ملكان في المنام وقالوا له كيف يتعالج بقراءة المعوّذتين (سورتي الفلق والناس)

المعضلة الكبرى؟

إذا كان النبي ﷺ فعلاًقد تأثّر بالسحر، هل ممكن نضمن إن القرآن الذي نزل في هذه الفترة سليم؟ هل كان النبي وقتها في كامل وعيه؟ هذا السؤال يهز مفهوم العصمة النبوية اللتي يؤمن به المسلمون.

موقف التقليديين (السلفية، الحنفية، الديوبندية وغيرهم)

هؤلاء يعتقدون بصحة الرواية لأنّها واردة في صحيح البخاري. ويقولون إن النبي ﷺ تأثّر فقط في أمور الحياة اليومية، أما الوحي فظل محفوظًا. ويستدلّون بالآية:

﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم: ٣-٤]

لكن المنتقدين يشوفون هذا التفريق غير منطقي. إذا كان النبي ينسى أو يتخيّل أشياء، كيف نضمن ما نسي أو خلط شيء من الوحي؟ إذا كان بشر، وهذا طبيعي، كيف نغضّ الطرف عن تأثير السحر بشكل شامل؟

موقف العقلانيين والنقّاد

هنا يدخل أسماء كبار من أمثال:

الإمام فخرالدين الرازي

الإمام أبوبكرالجصاص الحنفي

الإمام القفال الإصولي

الأستاذ المودودي

العلامة شبيرأحمد أزهر الميرتهي

هؤلاء يشوفون إن الرواية غير معقولة لا عقلاً ولا نصًا، وتتناقض مع القرآن لإنها تتناقض مع قوله تعالى: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة: ٦٧] فقوله يفيد و يؤكد أن الله حمى نبيّه.

البعض منهم قال إنها مجرد رؤيا أو حلم رمزي، وماكان حدثا حقيقيا. والمودودي كان واضح جدًا: يقول إن هذه الرواية تمس بمصداقية النبي، ولا زم نرفضها.

رأي العلامة شبيرأحمد أزهرالميرتهي

رأيه مميز. ما يرفض الرواية من باب العناد، لكنه حلّلها بعقلانية وبتفصيل. يقول:

"المحاولة (سحرالنبي) حصلت فعلًا، لكن ما أثرت على النبي ﷺ. لماذا؟ لأن رب العالمين وعد بحمايته، والوحي محفوظ. أماالحديث الذي يقول بمسحورية النبي صلى الله عليه وسلم فيه إشكالات كثيرة، سندًا ومعنًى، ولا يصح الاعتماد عليه.

رواية هشام بن عروة التي ورد فيها أن رسول الله ﷺ سُحر على يد لبيد بن أعصم،ذكر الإمام البخاري هذه الرواية عن هشام بن عروة في ثمانية مواضع من صحيحه، منها:

كتاب الجهاد، ص ٢٥٤ كتاب بدء الخلق، ص ٢٦٤

كتاب الطب، باب السحرص ٧٥٧كتاب الأدب، ص ٥٩٨ الطبعة الهندية)

وملخّص الرواية: أن النبي ﷺ أصابه نوع من النسيان الشديد، حتى كان يخيّل إليه أنه فعل شيئًا ولم يكن فعله، كأن يظن أنه جامع زوجته فيغتسل، أو أنه أكل طعامًا ولم يكن أكل، وكان يشعر بالضعف الشديد. ثم دعا الله، وفي المنام أخبره ملكان أن لبيد بن أعصم قد سحره، وأن آلة السحر ملقاة في بئر تدعى "ذروان". فذهب النبي ﷺ مع بعض أصحابه إلى تلك البئر واستخرجوا آلة السحرتلك.

وهذه الرواية جاءت فقط من هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

وهنا أقول: لا شك أن النبي ﷺ هو رسول الله وذو مقام رفيع، لكنه بشر، وما يصيب البشر من تغيرات طبيعية فقد أصابه مثلهم، كالنمو، والجوع، والعطش، والمرض، والشيخوخة، والوفاة. ومع ذلك، فإن الله سبحانه وتعالى قال له في كتابه: "والله يعصمك من الناس"المائدة : ٦٧) فهذا وعد إلهي بحمايته، وقد كان محفوظًا بهذا الوعد طوال حياته. فقد حاول أعداؤه في مكة والمدينة، حضرًا وسفرًا، قتله

مرارًا وتكرارًا، بالعلن والخفاء، ولم يفلحوا. وكان اليهود القاطنون في يثرب وما حولها من أشدّ أعدائه، وقد حاولوا قتله بالسحر، وبإلقاء حجر الرحى على رأسه، وبالسمّ، وبالاغتيال ليلًا. لكن الله دائمًا أبطل خططهم وردّ كيدهم إلى نحورهم.

وكان منهم المنافق الخزرجي لبيد بن أعصم، الذي كان من كبار السحرة بل صار زعيمًا لليهود في السحر. نعم، حاول أن يسحر النبي ﷺ، لكنه فشل فشلًا ذريعًا، لأن الله هو الحافظ والعاصم، ولا يمكن لسحر أيّ كان أن يؤثر على نبي معصوم من الله عزوجل.

إذًا، ما ورد في رواية هشام بن عروة من أن السحر أثّر على ذاكرة النبي ﷺ وجعله يتوهّم أشياء لم يفعلها، هو في الحقيقة مخالف صريح لقوله تعالى" والله يعصمك من الناس" فنحن نرى أن هذا الكلام غير صحيح، وأنه أشبه بقصة خيالية لا تقف أمام ميزان النقد العلمي.

والأدهى من ذلك: أن كل أسانيد هذه الرواية من هشام عن أبيه عن عائشة، وليس فيها أي تصريح بأن عروة سمع هذه الرواية مباشرة من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بل يبدو أن عروة نقلها عن شخص مجهول نسبها إلى عائشة، دون أن يذكر اسمه، ثم حدّث بها لابنه هشام بصيغة: "عن عائشة"وهذا حصل في عدة روايات نعلم يقينًا أن عروة لم يسمعها من عائشة، بل رواها بهذه الصيغة فقط، دون أن تكون متصلة الإسناد. لذلك، نحن لا نعدّ هذه الرواية صحيحة من حيث الإسناد، كما أنها باطلة من حيث المعنى.

وفي النهاية، إن الإمام المحدث شبيرأحمد أزهر الميرتهي يقول إن الحديث من الناحية السندية فيه قطع، ومن ناحية المعنى يناقض نصوص قرآنية، فيستحيل قبوله.

(انظر: مطالعة البخاري بالأردية ج١١، ص٩٧، ٢٠٠٢م)

ملخّص البحث:

١- كثير من الناس يؤمنون إن النبي ﷺ سُحر فعلاً.

هذا يطرح سؤال خطير: كيف نضمن إن الوحي ما تأثّر بهذالسحر؟

٢- الشيوخ والعلماء حاولوا يبررون الرواية، لكن بدون حُجج عقلانية قوية.

٣- بعض العلماء الكبار –مثل العلامة شبير أحمد أزهر الميرتهي– رفضوا الرواية تمامًا روايةً ودراية و أعادوا تفسير القصة بطريقة تحافظ على مكانة النبي ﷺ.

النتيجة:

نعم، حاولوا سحره ﷺ، لكن السحر لم يؤثر فيه أبدًا، لأن الله قال والله يعصمك من الناس، فهذه الرواية دخيلة على السيرة النبوية، ولا تليق بمقام خاتم الأنبياء .

بقلم: الدكتور محمد سعد سليم
ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

توافق علامات القيامة في الحديث النبوي مع الأحداث التاريخية في ضوء الكتاب المقدس والقرآن

(الحلقة الثالثة)

الفرسان العشرة من المسلمين – قادة الحركة الوطنية التركية

في الحديث الشريف، ورد أن المسلمين عندما يسمعون بخبر الدجال، يرسلون عشرة من الفرسان كطلائع، وهم من خير فرسان ذلك الزمان.[٤٧] ويشبه هذا المشهد ما ورد في سفر الرؤيا لعيسى عليه السلام، حيث يظهر الفرسان كرمز للقيادة والهداية.[٤٨] وهكذا، فإن المقصود بالفرسان العشرة في الحديث هم عشرة من قادة المسلمين. وتنطبق هذه الصورة على القادة السياسيين والعسكريين البارزين في الحركة الوطنية التركية، الذين نجحوا في البداية في التفاوض مع الشيوعيين، ثم مع القوى الغربية.[٤٩] وقد وصفهم الحديث بأنهم "خير فرسان ذلك الزمان"، وهي إشارة إلى كفاءتهم القيادية والدبلوماسية. ومن بين هؤلاء القادة برز مصطفى كمال أتاتورك، ويوسف كمال تنكريشنك، وكاظم كارابيكر، ولاحقًا عصمت إينونو، والذين أظهروا براعة دبلوماسية فريدة، فعقدوا اتفاقات مهمة مع كل من الشيوعيين والقوى الغربية. ففي عام ١٩٢١، أبرمت الحركة الوطنية التركية اتفاقيات مع الشيوعيين بشأن ترسيم الحدود، والحصول على دعم مالي وعسكري، إلا أنهم تمكنوا من تجنيب تركيا التأثر العقائدي بالشيوعية.[٥٠] ثم، في عام ١٩٢٣، نالت تركيا استقلالها الكامل من خلال معاهدة لوزان، ونجحت بخلاف الدولة العثمانية في تفادي الهيمنة الاستعمارية. لقد كانت هذه إنجازًا دبلوماسيًا نادرًا، حيث استفادت

تركيا من القوتين العالميتين دون أن تخضع لأي منهما.

السبعون ألفًا من بني إسحاق – الشيعة المسلمون في مدينة باكو (١٩١٨–١٩٢٠)

في الحديث الشريف،[٥١] ورد ذكر مدينة تقع بين اليابسة والبحر، يهاجمها سبعون ألفًا من بني إسحاق بلا سلاح، فينطقون "لا إله إلا الله والله أكبر" ثلاث مرات، فيُفتح لهم المدينة، ثم بعد أن يجمعوا الغنائم وتوزع، يسمعون خبر ظهور الدجال، فيرجعون. وتنطبق هذه الرواية على أحداث باكو، عاصمة أذربيجان، في ١٥ سبتمبر ١٩١٨م. تقع المدينة على شاطئ بحر قزوين، حيث يحدها البحر من جهة واليابسة من جهة أخرى. ويقصد ببني إسحاق هنا المسلمين الشيعة، في دلالة رمزية، كما كان بنو إسحاق في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أصحاب هوية دينية متميزة رغم انتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام.[٥٢] كذلك، فإن الشيعة المسلمون تميزوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كمذهب له خصوصية داخل الإسلام.[٥٣] أما عدد "سبعين ألفًا" المذكور في الحديث، فهو يطابق عدد الشيعة في باكو في تلك الفترة، والذين كانوا يقاربون هذا الرقم.[٥٤] في ١٥ سبتمبر ١٩١٨، وهو يوم عيد الأضحى،[٥٥] دخلت القوات العثمانية مدينة باكو خلال الحرب العالمية الأولى،[٥٦] بعد انسحاب القوات البريطانية والأرمنية منها في الليلة السابقة،[٥٧] ما أدى إلى انهيار الدفاع عن المدينة. أما تكرار قول "لا إله إلا الله والله أكبر" ثلاث مرات، فهو رمز لتكبيرات التشريق في أيام عيد الأضحى. و"فتح المدينة" يشير إلى عودة قيادة جمهورية أذربيجان الديمقراطية من المنفى واستلام الحكم رسميًا في ١٧ سبتمبر ١٩١٨م.[٥٨] أما "الغنائم" الواردة في الحديث، فهي رمز لاحتياطات النفط الهائلة في باكو، التي حصلت عليها قيادة الشيعة في الجمهورية الحديثة، واستغلتها لتحقيق مكاسب اقتصادية ودبلوماسية. غير أن هذه السيطرة لم تدم طويلًا، ففي أبريل ١٩٢٠، هددت قوات البلاشفة الشيوعية باجتياح باكو، مما اضطر القيادة الشيعية إلى مغادرة البلاد، تمامًا كما في الحديث، حين ينسحب المهاجمون عند سماع خبر ظهور الدجال.[٥٩]

الفتح على العرب، والفرس، والروم قبل خروج الدجال

في حديث آخر، جمعت المراحل التاريخية السابقة في تسلسل زمني واضح، حيث تنبأ النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح على العرب، ثم على الفرس، ثم على

الروم، وأخيرًا على الدجال.[٦٠]

وتتطابق هذه النبوءات مع مجريات التاريخ: ففتح العرب كان عام ٦٣٣م، وفتح فارس عام ٦٥١م، وسقوط الإمبراطورية البيزنطية (الرومية) عام ١٤٥٣م، وهزيمة القوات السوفيتية في أفغانستان، التي تبعها انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م.

علامة الكفر على الجبين – إلحاد الاتحاد السوفيتي وعداؤه العلني للدين

كما ورد في سفر الرؤيا أن على رؤوس "وحش البحر"، الذي يرمز به إلى الإمبراطورية الرومانية، كانت مكتوبة كلمات تجديفية،[٦١] فكذلك جاء في الحديث الشريف أن على جبين الدجال ستكون مكتوبة كلمة "كافر"،[٦٢] وسيتمكن كل مسلم، متعلمًا كان أو أميًا، من قراءتها.[٦٣] والجبين هو أبرز جزء في وجه الإنسان، ويعد رمزًا للهوية الظاهرة التي لا يمكن إنكارها. ووجود كلمة "كافر" عليه يرمز إلى أن كفر الدجال سيكون صريحًا وعلنيًا، لا خفيًا ولا مموهًا. وعلى هذا النحو، لم يخف الاتحاد السوفيتي موقفه من الدين، بل تبناه أيديولوجيًا كفخر معلن. فقد كان الاتحاد السوفيتي الدولة الوحيدة في التاريخ التي أعلنت رسميًا إلغاء جميع الأديان، ومنعت التبشير بها، وسعت إلى ترسيخ الإلحاد كهدف سياسي بعيد المدى.[٦٤]/[٦٥]

روّجت الدولة للإلحاد العلمي، ووصفت الأديان بالخرافات الرجعية، وعملت على استئصالها. وتجلّت هذه السياسة لا فقط في إغلاق دور العبادة، بل أيضًا في ممارسة القمع المنهجي ضد أتباع الديانات الإبراهيمية.

لن يخلصنا أحد
لا إلٰه، لا قيصر، لا بطل
سننال حريتنا
بأيدينا نحن

(من نشيد الأممية، الذي كان النشيد الرسمي للاتحاد السوفيتي من عام ١٩٢٢ إلى ١٩٤٤، ويعكس بوضوح العقيدة الإلحادية والمعادية للدين التي تبناها النظام الشيوعي.).

عين الدجال الواحدة وشعره المجعّد – رمزية القصور النظري والتشوّه العملي في النظام السوفيتي

ورد في الحديث الشريف أن الدجال أعور، أي أعمى في إحدى عينيه، وهي

إشارة رمزية إلى النظرة الأحادية المحدودة التي تبنّاها النظام الشيوعي، إذ انحصر تركيزه في إنشاء مجتمع بلا طبقات ولا دولة.[٦٦] وتجاهل هذا التصوّر الفلسفي مبدأ الاعتماد المتبادل بين البشر، الذي جعله الله سنّة من سننه في الخليقة. وقد نتج عن هذا التجاهل إخفاقات فادحة، وظهرت آثار ذلك في الكوارث الإنسانية التي رافقت تطبيق الشيوعية. أما شعر الدجال المجعّد، فيرمز إلى القبح والاضطراب، وهو انعكاس للواقع المشوّه الذي خلقته المجتمعات المغلقة، حيث سادت المساواة المفروضة بالقوة، وغابت حرية التعبير، وانتشر القمع السياسي والاجتماعي. وهكذا، يصبح التشوّه الظاهري للدجال تجسيدًا حيًّا للتناقضات الفكرية والعملية في النظام الشيوعي، الذي وعد بمجتمع فاضل، لكنه مهّد السبيل للطغيان والاستبداد.

الدجال بوصفه "المسيح الكاذب" – دعوى الشيوعية لحل مشاكل البشرية

لقد وعدت الشيوعية بالمساواة والعدالة، لكنها في الواقع أسّست نظامًا صارمًا، قاسيًا، ولا إنسانيًا. ويطابق هذا السلوك صفات "المسيح الكاذب" التي وردت في الأحاديث؛ فهو يَعِد بالنجاة والخلاص، لكنه يقود الناس إلى هاوية جديدة من الظلم. لقد استغلّت الدولة السوفيتية مشاعر الناس الصادقة تجاه الفقر، والتمييز الطبقي، والظلم الرأسمالي، وروّجت لفكرة "الفردوس الاشتراكي" المزعوم. لكن هذا الوعد الكاذب تمخض عن انقلابات دموية، وزراعة جماعية قسرية، وتطهير طبقي، وحملات غير مسبوقة ضد الدين وحرية التعبير. وكان مجمل السياسات السوفيتية يهدف إلى فصل الإنسان عن ربه، وفرض الطاعة المطلقة للدولة بدلاً من طاعة الله، وهو ما يعدّ التجسيد العملي لفتنة الدجال.

(للحديث صلة ...)

الهوامش:

٤٧) Sahih Muslim 2899a: https://sunnah.com/muslim:2899a

٤٨) مثلاً، لقد وصف رسول الله ﷺ بـ"الأمين" و"الصادق"، كما تم تصويره راكبًا على فرس أبيض:

Revelation 19:11 https://www.bible.com/bible/111/REV.19.11.NIV:

٤٩) **يوسف كمال تنكريشنك:** ترأّس الوفد التركي في "معاهدة موسكو (١٩٢١)"، ونال دعم الاتحاد السوفيتي.

رضا نور: كان أحد المفاوضين الرئيسيين في معاهدتي موسكو (١٩٢١) وقارص (١٩٢١)، وأسهم في تسوية المسائل الحدودية مع السوفييت.

علي فؤاد جبيسوي: أول سفير تركي لدى روسيا السوفيتية عام ١٩٢١، وأسس علاقات دبلوماسية رسمية.

كاظم كارابكير: خبير في المفاوضات العسكرية مع الاتحاد السوفيتي على الجبهة الشرقية.

راوف أورباي: شارك في الحصول على المساعدات العسكرية والمالية السوفيتية من خلال المفاوضات الدبلوماسية.

بكر سامي قندوح: أول وزير خارجية لحكومة أنقرة، أقام أولى الاتصالات الدبلوماسية مع البلاشفة.

أحمد مختار بك: لعب دورًا بارزًا في مفاوضات موسكو، إلى جانب رضا نور ويوسف كمال.

خليل باشا (خليل كوت): عمل كسفير غير رسمي، وساهم في تأمين الأسلحة والمفاوضات غير الرسمية.

محمود جلال بايار: انشغل بالمفاوضات الاقتصادية مع البلاشفة، وركّز على التجارة والتعاون المالي.

مصطفى كمال أتاتورك: رغم عدم مشاركته المباشرة في المفاوضات، فقد لعب دورًا محوريًا في توجيه الاستراتيجية الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي.

٥٠) (https://en.wikipedia.org/wiki/Treaty_of_Moscow_(1921

٥١) Sahih Muslim 2920a: https://sunnah.com/muslim:2920a

٥٢) مثل اليهود

٥٣) علاوة على ذلك، فإن استخدام مصطلح "بني إسحاق" في الحديث، بدلاً من "بني إسرائيل"، يشير إلى أن المقصود به هنا دلالة رمزية أو نسب اعتباري، لا مجرّد المعنى العرقي أو التاريخي.

فلو كان المقصود اليهود تحديدًا، لاستخدم تعبير "بني إسرائيل" بوضوح، لأن اليهود لم يكونوا فقط موجودين في زمن النبي ﷺ، بل لا يزالون موجودين حتى اليوم.

٥٤) وفقًا للتقرير السنوي القوقازي لعام ١٩١٧م، كان عدد السكان الشيعة في مدينة باكو ٦٩،٣٦٦ نسمة.

https://en.wikipedia.org/wiki/Baku_gradonachalstvo

٥٥) https://bakuresearchinstitute.org/en/the-liberation-of-baku-a-retrospective-view-after-a-century

٥٦) Roland P. Minez, At the Limit of Complexity: British Military Operations in North Persia and the Caucasus 1918

٥٧) https://milwaukeearmenians.com/2015/09/11/massacre-of-baku

٥٨)

https://axc.preslib.az/en/page/e7tUwdDSIh

٥٩) هذه هي نفس الواقعة التي وردت في حديث آخر، على لسان نداء الشيطان: "المسيح قد دخل في دياركم!"
وذلك على سبيل التحذير والإرجاف في سياق أحداث الفتن والآيات الكبرى.

Sahih Muslim 2897: https://sunnah.com/muslim:2897

٦٠) Sahih Muslim 2900: https://sunnah.com/muslim:2900

٦١) Revelation 13:1–10: https://www.bible.com/bible/111/REV.13.1-10.NIV

٦٢) Sahih Bukhari 1555: https://sunnah.com/bukhari:1555

٦٣) Sahih Muslim 2934b: https://sunnah.com/muslim:2934b

٦٤) فروز، بال.
"العلمنة القسرية في روسيا السوفيتية: لماذا فشل الاحتكار المزدوج؟"
نشر في مجلة الدراسات العلمية للدين، المجلد ٤٣، العدد ١، (مارس ٢٠٠٤)، الصفحات: ٣٥–٥٠.
الناشر: وايلي (Wiley).

٦٥) تاريخ الإلحاد:

https://doi.org/10.1017/9781108562324.047

٦٦) Sahih Muslim 169b: https://sunnah.com/muslim:169b

المختارات

الكاتب: إمام المحدث شبيرأحمد أزهر الميرتهي
عرض وتقديم: د. محمد غطريف شهباز الندوي

دراسة وتحقيق ماجاء في شأن نزول ألآية:
وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً اَوْ لَهْوَا إِنْفَضُّوْا اِلَيْهَا وَتَرَكُوْكَ قَآئِمًا

(مقطتف من شرحه الحافل للجامع الصحيح البخاري تحفة القاري بشرح صحيح البخاري)

[المختارات هو قسم مخصص لاختيارات من كتابات المؤلفين القدماء والجدد، وهدفه تقديم الفكر والنظر للماضي والحاضر أمام القراء والدار سين. ويتم فيها اقتباس مقاطع من تصانيف ممثلة لعلماء الماضي والتي تسلط الضوء على أفكارهم وأساليبهم، وكذلك تُضاف كتابات المؤلفين الجدد الفعّالة والموثوقة. وليس بالضرورة أن يتفق مدير التحرير والمؤسسة مع محتويات هذا القسم. الإدارة]

قال البخاري رحمه الله: حدثنا معاوية بن عمرو قال ثنا زائدة عن حصين عن سالم بن الجعد قال حدثنا جابربن عبدالله قال: نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبلت عيرتحمل طعاما فالتفتوا إليها حتى مابقي مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا إثناعشر رجلاً فنزلت الآية: وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً (صحيح البخاري كتاب الجمعة طبع الهند ص: ٨٣١).

طرق الحديث:

(٢) قال البخاري:حدثنا طلق بن معاوية النخعي أبو محمد الكوفي روى عن أبيه وشيبان أبو قبيس بن الربيع ومالك بن مغول ويعقوب القمي وزائدة وابن

عمه حفص بن غياث والقاضي شريك وكان طلق كاتبه واسرائيل وغيرهم وعنه البخاري وعثمان بن أبي شيبة وأحمد بن إبراهيم الدورقي والحسين بن عيسى البسطامي والحسين بن عبد الرحمان الجرجراني وأبو كريب وأبو سعيد الأشج وغيرهم مات في رجب سنة إحدى عشرة ومأتين.وثقوه وضعفه أبومحمد بن حزم وحده.(من تهذيب التهذيب)

(٣) وقال البخاري حدثنا محمد (هو ابن سلام) ثنا محمد بن فضيل عن حصين عن سالم بن الجعد عن جابر قال اقبلت عير ونحن نصلى يوم الجمعة مع النبي صلى الله عليه وسلم فانقض الناس إلا إثنى عشررجلاً فنزلت هذه الآية :وإذا رأواتجارةً أو لهواً (كتاب البيوع باب قوله تعالى:رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكرالله ص ٢٧٧)

٤- وقال البخاري: حدثني حفص بن عمر قال ثنا خالد بن عبد الله (الواسطي) قال ثناحصين عن سالم بن أبي الجعد وعن أبي سفيان عن جابربن عبد الله قال: أقبلت عيريوم الجمعة ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم فثار النايس إلا إثنى عشر رجلاً فأنزل الله: وإذا رأوا تجارةً إلخ ص ٧٢٧ تفسير سورة الجمعة رواه مسلم عن رفاعة بن هشيم الواسطي عن خالد بن عبد الله الطحان به:كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة فخرج الناس إليها حتى لم يبق معه إلا إثناعشررجلاأنا منهم فانزل الله إلخ (ص مسلم ١ ص ٢٨٤) وقال: حدثني إسماعيل بن سالم أناهشيم أنا حصين عن أبي سفيان وسالم بن أبي الجعد عن جابربن عبد الله قال: بينا النبي صلى الله عليه وسلم قائم يوم الجمعة إذ قدمت عير إلى المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق معه إلا إثنا عشر رجلاً فيهم أبوبكروعمرقال ونزلت هذه الآية إلخ (أخرجه مسلم ص ٢٨٤) ورواه الترمذي عن أحمد بن مينع عن هشيم به (سنن الترمذي، أبواب التفسير سورة الجمعة)

وروى مسلم عن عثمان بن أبي شيبة واسحاق بن إبراهيم عى جريربن عبد الحميد عن حصين بن عبد الرحمن عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا إثنا عشر رجلاً فانزلت هذه الآية. (صحيح

مسلم ص ٢٨٤)

وروى أحمد عن عبد الله بن إدريس عن حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال قد أتى عير مرةً إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فخرج الناس وبقي معه إثنا عشر رجلاً فنزلت (مسند أحمد٣ ص ٣١٣ وراه مسلم عن أبي بكربن أبي شيبة عن عبد الله أدريس به. (صحيح مسلم ص٣٨٤)

والآن، أود أن أقدم للقارئ الكريم بحثًا وتحقيقًا في هذا الخبر من منظور علم مصطلح الحديث وأصول الرواية، والله ولي التوفيق.

أولاً: فقد تفردبهذا الحديث حصين بن عبد الرحمن السلمي الكوفي لم يروه أحد سواه عن سالم غيرأبي الجعد ولاعن سفيان طلحة بن نافع ورواه عن حصين زائدة بن قدامة ومحمد بن فضيل وخالد بن عبد الله الطحان وهشيم وجرير وابن إدريس فقالوا في إسناده" حصين عن سالم عن جابر" وأما خالد وهشيم فقالا: حصين في متنه. فالثابت مماروى زائدة وابن فضيل -وحديثهما عند البخاري أن الصحابة انفضوا إلى العيرمن أثناء صلاة الجمعة إلا إثنى عشررجلاً فإنهم لم يبرحوا وبقوا يصلون مع النبي صلى الله عليه وسلم، والثابت مما روى جرير وعبد الله بن إدريس وحديثهما عند مسلم، أنهم ارتكبوا ذلك أثناء الخطبة. وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يخطب وبقي منهم اثناعشر جالسين يستمعون الخطبة. وأماهشيم فلم يصرح في حديثه بالخطبة ولابالصلاة فإنه ذكر"بينا النبي صلى الله عليه وسلم قائم يوم الجمعة إذ قدمت عيرفابتدرت أصحابه ولم يبق معه إلا إثنا عشرفيهم أبوبكروعمرفهذا يمكن حمله على كلا المحملين على الخطبة وعلى الصلاة. وكذا أبهمه خالد بن عبد الله فلم يذكرالخطبة ولاالصلاة ولاكون النبي صلى الله عليه وسلم قائماً. فلانستطيع أن نعرف ماهو الصواب في هذا الحديث ومعنى ذلك أن حصين بن عبد الرحمن اضطرب فيه اضطراباً أوجب طرحه وأن نقول لايصح ما رواه زائده وابن فضيل عن حصين ولاماروا جرير وابن إدريس عن حصين.

ثانيا: رواية سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه

ورد في الأسانيد أن أربعةً من تلاميذ حُصين، وهم جرير وعبد الله وهُشيم وخالد، رووا الحديث بلفظ "عن جابر"، أي دون تصريح من سالم بن أبي الجعد

بأنه سمع الحديث مباشرة من الصحابي جابر بن عبد الله رضي الله عنه. بينما جاء في رواية زائدة التصريح بلفظ "حدّثنا جابر"، مما يدل على أن سالم قد صرّح بالسماع المباشر من جابر.

غير أن هذه الصيغة في إسناد زائدة تخالف ما رواه أربعة من الثقاة من أقرانه، مما يرجّح أن زائدة قد وهم في لفظ "حدّثنا"، وأن الصواب أن سالم قال "عن جابر"، لا "حدّثنا جابر". وبذلك، فإن أقوى الاحتمالات أن سالم لم يسمع هذا الحديث من جابر مباشرة، بل سمعه من راوٍ آخر ونسبه إلى جابر.

ولو كان قد سمعه مباشرة لقال": حدّثني جابر "أو "أخبرني جابر "أو "سمعت جابرًا"، ولكنه قال "عن جابر"، وهذه الصيغة تدل غالبًا على الإرسال. ويُؤكّد ذلك أن سالم بن أبي الجعد كثير الإرسال في الرواية، كما جاء في *تقريب التهذيب*: "كان يرسل كثيرًا."

فالشخص الذي يُكثر من الإرسال — أي الذي يسقط من الإسناد مَن سمع منه مباشرةً ويذكر من فوقه ممن لم يسمعه — فإن روايته بـ"عن" لا تُعدّ دليلاً على السماع إلا إذا صرّح به.

أما الراوي الثقة الذي لا يُعرف بالإرسال، فحين يروي بلفظ "عن"، فإن روايته تُحمل على السماع، حسب القواعد المقررة في كتب مصطلح الحديث.

وبما أننا لا نعرف من هو الشخص الذي سمع منه سالم هذا الحديث، فنحن لا نعرف هل هو ثقة أم غير ثقة، وبالتالي لا يمكن الحكم بصحة هذه القصة من ناحية الإسناد.

وثالثا: إن العقل لا يتقبل أن يكون غالب الصحابة الكرام قد انصرفوا فجأة من خطبة النبي ﷺ في المسجد إلى تاجرٍ وصل ببضاعة من الطعام.

ولهذا، لا أرى صحة هذه القصة .ومع ذلك، وكما ذكرت سابقًا، فإن أصرّ أحدٌ على قبول القصة لأن الشيخين — البخاري ومسلم — أخرجاها، فليُسلِّم على الأقل بأن الآية المذكورة لا علاقة لها بهذه القصة، لأنها تتحدث عن حال اليهود، لا عن المسلمين.

وقد تنبّه إلى هذه الإشكالية كلٌّ من القاضي عياض والشارح الكرماني، فقالا إن هذه الرواية تُفضي إلى نسبة تصرف غير لائق إلى جماعة من الصحابة، ولذلك

رجّحا قول مقاتل بن حيان، كما أخرجه أبو داود في *كتاب المراسيل*، وهو:

"أن رسول الله ﷺ كان في أول الأمر يخطب بعد صلاة الجمعة، كما هو الحال في صلاة العيد، إلى أن وقع هذا الحادث، حيث خرج الناس من المسجد — إلا اثني عشر رجلاً — ظنًّا منهم أن الصلاة قد انتهت، وأن الاستماع للخطبة ليس بواجب. فنزلت الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾. ومن ثمَّ، قدّم النبي ﷺ الخطبة على الصلاة في الجمعة، وصارت كذلك إلى يومنا هذا."

ولكنني أقول: لا وجه للاعتماد على هذا القول المنسوب إلى مقاتل، فمن أين له علم هذا الترتيب؟ ومن الذي أخبره أن النبي ﷺ كان يخطب بعد الصلاة في أول الأمر؟ لا يوجد أي دليل صحيح يثبت أن خطبة الجمعة كانت بعد الصلاة في أي وقت .بل الحقيقة الثابتة أن النبي ﷺ منذ أن شرع في صلاة الجمعة، كان يخطب أولًا ثم يصلي، ولم يثبت خلاف ذلك.

فأقول إن هذه الرواية، وإن كانت واردة في كتب البخاري ومسلم والترمذي، ومروية عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، إلا أنني أرى أنها رواية غير صحيحة على الإطلاق. فهي لا تعدو أن تكون قصة مفتراة تسيء إلى صورة غالبية الصحابة الكرام، وتصورهم بصورة غير لائقة.

والسبب في ذلك أن واقع صلاة الجمعة في المدينة المنورة زمن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين لم يكن كواقع صلاة الجمعة في الهند اليوم، حيث تقام الجمعة في كل مسجد مهما صغر الحي أو القرية. بل كانت تقام في المدينة كلها في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فقط، وما زال الأمر كذلك بحمد الله حتى اليوم. كما أن المدينة لم تكن مدينة مختلطة بين المسلمين وغير المسلمين كما هو حال المدن الهندية. فمنذ قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، غلب الطابع الإسلامي على سكانها، وبعد غزوة بدر لم يبق فيها من غير المسلمين سوى يهود بني قينقاع.

كذلك، لم يكن هناك في ذلك الوقت كما هو حال المسلمين في الهند اليوم، من يتسمى بالإسلام ولا يصلي، لا في المدن ولا في القرى. بل لم يكن يُتصور وجود مسلم لا يصلي. حتى المنافقون كانوا يُرغمون أنفسهم على الحضور إلى

المسجد في الصلوات الظاهرة، ومنها صلاة الجمعة. وكان من الممكن فقط أن يتخلف عن الصلاة مريض أو معذور. بل إن النساء المسلمات كن يحضرن الجمعة في الغالب.

ففي ظل هذه الصورة، كيف يُعقل أن يسمع المصلون في المسجد جلبة قافلة تجارية ودقات الطبول، فيظنوا أن القافلة ستنصرف دون أن يتمكنوا من الشراء، فيهرعوا لاغتنام الفرصة ويتركوا المسجد؟! وأين هم الناس الذين يمكن أن يشتروا غير هؤلاء؟ فالجميع في المسجد! أما من في البيوت فإما مريض أو معذور.

إن هذا الخلل العقلي والمنطقي وحده يكفينا لرفض هذه الرواية. ونقول إن الإمام البخاري رحمه الله قد فاته هذا القادح، وإلا لما صنف هذا الخبر ضمن الصحيح.

ورابعا: ثم تأملوا في الآية الكريمة التي قيل إنها نزلت في هذا الحادث، لو كان الأمر كذلك لكان النص القرآني مختلفًا. فبدل قوله: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا" لكان ينبغي أن يقول: وَإِذْ رَأَيْتُمْ تِجَارَةً وَلَهْوًا انْفَضَضْتُمْ إِلَيْهِمَا وَتَرَكْتُمُ الرَّسُولَ قَائِمًا" أي لازم أن:

١- يُستعمل "إذ" بدل "إذا"، لأن "إذ" تستخدم لما وقع مرة في الماضي، و"إذا" لما يتكرر عادة؛

٢- تُستعمل صيغ الخطاب لا الغيبة (رأيتم، انفضضتم، تركتم)؛

٣- ويُستخدم حرف العطف "و" بدل "أو"، لأن "أو" تفيد التخيير بين أمرين، بينما في حالة واحدة وقعت لا معنى للتخيير.

صحيح أنه قد يُقال إن التحول من الخطاب إلى الغيبة جائز في البلاغة، لكن لا يمكن بأي حال تبرير استخدام "إذا" بدل "إذ" إذا كان الحديث عن حادثة واحدة. لأن "إذا" في العربية تُستخدم لما تكرر، بينما "إذ" للماضي غير المتكرر.

فلو قلت في العربية: "مررتُ بزيد فسلمتُ عليه فلم يردّ علي السلام" فالصحيح أن تقول: إذ مررت لا "إذامررت" لأن الحادثة وقعت مرة. ونظير هذا الاستعمال تجده في سورة البقرة، في الركوع الثاني، مما يوضح المعنى تمامًا. (وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض، الآية:١١.....وإذاقيل لهم آمِنواكماآمن الناس قالوا الآية: ١٣)

إذا كانت الآية الكريمة بالفعل نزلت في المؤمنين بسبب حادثة معينة، لزم أن

يكون هذا الفعل قد تكرر منهم أكثر من مرة، إذ إن استخدام صيغة الشرط مع الفعل المضارع ﴿وَإِذَا رَأَوْا﴾ يوحي بالاعتياد أو التكرار، بينما الرواية تقول إن الحادثة وقعت مرة واحدة فقط، وهذا يتنافى مع دلالة النص.

كذلك فإن عبارة ﴿تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾ لا يمكن تبريرها لو كان الأمر مجرد حادثة واحدة تضمنت تجارة فقط؛ لأن حرف العطف "أو" يدل على التعدد في الاحتمال، أي أنهم كانوا ينصرفون سواء بسبب التجارة أو بسبب اللهو، بينما الرواية لا تذكر لهوًا ولا لعبًا، بل تتحدث عن قافلة تجارية وحسب. ولو كان السياق كما تقول الرواية لكان التعبير القرآني على نحو" :*تجارة فقط* " دون ذكر اللهو.

والأهم من ذلك أن الآية بدأت بالواو العاطفة ﴿وَإِذَا رَأَوْا﴾، وهي قرينة على ارتباطها بما قبلها من الآيات، لا على أنها نزلت في سياق مستقل. وهذا وحده يضعف القول بأنها نزلت بسبب الحادثة التي ذكرها بعض المفسرين.

وإن الصواب في نظري، وبما وفقني الله إليه، أن هذه الآية تتحدث عن إعراض اليهود عن نصائح النبي صلى الله عليه وسلم ومواعظه، لا عن الصحابة.

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب إليهم يدعوهم إلى الحق والهدى ويعظهم ويخطبهم قائما في مجامعهم ومجالسهم فكانوا لايستمعون لقوله وينفرون عنه لادنى سبب من تجارة أو لهو، وإذا قرأت سورة الجمعة وتفكرت فيها تبين لك أن موضوعها الرد على اليهود في فكرهم السيئ وعملهم القبيح ودعواهم الفارغة وإعراضهم عن الحق.

أما ما يُروى عن جابر رضي الله عنه أن جميع الصحابة انفضوا أثناء الخطبة إلا اثني عشر شخصًا، فأنا أعده أقرب إلى القصص المختلقة غير الموثقة، وحتى إن فرضنا صحته جدلًا، فإنه لا علاقة له بهذه الآية الكريمة. والله عزوجل هو الموفق للصواب

في باب التذكير

بقلم: الشيخ محمد ذكوان الندوي
ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

واسطة رحمة الله تعالى

ليس التخلق بأخلاق الخالق أمرًا يحتاج إليه الله سبحانه، بل هو مظهر من مظاهر رحمته الواسعة. فكما أن رحمة الأم بولدها تنبع من فطرتها، كذلك فإن رحمة الله بعباده تتجلى دون حدود. فإذا طلب طفل من أمه شيئًا مستشفعًا بعاطفتها، فإن الأم، بدافع رحمتها الفطرية، لا تملك إلا أن تستجيب له. وعلى نحو لا يرقى إلى تشبيه تام، فإن العبد إذا توجه إلى ربه متضرعًا خاشعًا، مستشفعًا برحمة الله، فإن هذه الرحمة الإلهية لا تطيق أن ترد دعاءه خائبًا. فالله عز وجل يستجيب لهذا النداء من محض رحمته، لا لحاجة منه إليه، تعالى الله عن ذلك، بل لأن رحمته تقتضي الاستجابة.

وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الحقيقة في الحديث الشريف، إذ قال سلمان الفارسي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إن الله حيي كريم، يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين." (رواه الترمذي، رقم ٣٥٥٦ وأبو داود، رقم ١٤٨٨)

فمثل هذا الدعاء الصادق يعد بمثابة الاسم الأعظم، الذي إذا دعي الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى، كما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم:

"اسم الله الأعظم، الذي إذا سئل به أعطي، وإذا دعي به أجاب."

(رواه ابن ماجه، رقم ٣٨٥٨ وأبو داود، رقم ١٤٩٥)

وفي هذا المعنى، ورد أيضًا الحديث النبوي الآتي:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال:

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله ملكًا موكلًا بمن يقول، يا أرحم الراحمين. فمن قالها ثلاثًا، قال الملك، إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك، فسل." (رواه الحاكم في المستدرك، رقم ٢٠٤٠)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برجل وهو يقول: يا أرحم الراحمين، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: سل، فقد نظر الله إليك." (المستدرك للحاكم، رقم ٢٠٣٩)

وكذلك، وفقًا لحديث طويل، قال سيدنا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"من دعا الله قائلا، اللَّهُمَّ إني أسألك بحق السائلين عليك، فإن الله يتوجه إليه بكامل ذاته." (سنن ابن ماجه، رقم ٧٧٨، مسند أحمد، رقم ١١١٥٦)

إن غالبية البنية الفكرية والدينية التي نشأت بعد عصر الرسالة قد تأسست على تقليد فني صرف، ولهذا السبب، وتحت تأثير هذه النفسية الغريبة وغير السّنية، فإن بعض الأفراد ينكرون عمومًا مثل هذه الروايات، ومع ذلك، يعتبرها عدد من العلماء صحيحة.

فقد وصف الحافظ الدمياطي والحافظ ابن حجر العسقلاني هذه الرواية بأنها حسنة، بينما صححها الحافظ ابن خزيمة وغيرهم.

(المتجر الرابح، الحافظ الدمياطي، ص ٤٧٢، أمالي الأذكار، الحافظ ابن حجر العسقلاني ٢٧٢/٨، ابن خزيمة، نقلا عن: مصباح الزجاجة، الحافظ البوصيري ٩٩/٨)

والمقصود بـ"حق الرحمة" في هذه الرواية هو نفسه ما أشرنا إليه في هذا المقال بـ"واسطة الرحمة"، وهو أسلوب تعبيري متواضع بلغة الإنسان لطلب رحمة الله وجذب عنايته. ولا يجوز النظر إلى مثل هذه التعبيرات الطبيعية واللطيفة من زاوية فقهية أو تقليدية محضة، ولا خلطها بمباحث الوسيلة العقدية أو القضايا التقليدية. هذا النوع من التعمق الزائد في التفاصيل، والجدالات الدينية المتكلفة ذات الطابع الجدلي العقيم، وما يصاحبها من "الإصر والأغلال" (الأعراف: ١٥٧)، يجب على المؤمنين أن يجتنبوه تمامًا. فهذه الظواهر إنما هي من نتائج التكييفات الفكرية والدينية التي نشأت في مرحلة ما بعد الرسالة، وقد أصبحت للأسف من

سمات كثير من المتدينين في عصرنا الراهن. وقد حرم الله ورسوله هذه الطريقة، ونهيا عنها بشدة:

عن أبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القول ويسيئون الفعل... هم شر الخلق والخليقة." (أبو داود، رقم ٤٧٦٥)

عن المغيرة بن شعبة قال: "قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعًا وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال." (البخاري، رقم ٢٤٠٨، مسلم، رقم ٤٤٨٣)

قراءة في كتاب

بقلم: الأديب محمد الشرقاوي

ملامح من مجلد د غريب جمعة
عن الإمام الأكبر محمد الخضر حسين شيخ الأزهر

لا يزال للعلم أهله وخاصته وعشاقه الذين هم دائما مستعدون لبذل كل نفيس في سبيل الحصول على المصادر الموثوقة والأمينة من كافة فروع العلم وإظهارها للباحثين والقارئين ومن ثم تزويد المكتبة الإنسانية بكل ما يرفع إنسانيتها ويحمي عقلها وينير دربها حتى تسير وفق خارطة النجاة من خلال علم أصيل صحيح متفادية ومتغلبة على ما يعترض سيرها من عقبات.

ومن الكنوز النادرة التي أضاءت الساحات العلمية مؤخرا -وستظل هكذا- هذا المجلد الضخم الذي يقترب من ثمانمائة صفحة يسجل خلالها المولف د غريب جمعة - وهو طبيب أبحر في العلوم الدينية والفكر الإسلامي- نشأة وحياة وأعمال ومواقف وآراء ومولفات ونضال علم من أعلام الأمة في العصر الحديث، إنه فضيلة العلامة الموسوعي محمد الخضر حسين (شيخ الأزهر عالم العلماء وصفوة المجاهدين) والذي تولى مشيخة الأزهر الشريف من سبتمبر ١٩٥٢ حتى يناير ١٩٥٤ م والحقيقة أن هذا المجلد أشبه بمحيط من المعلومات التي لم تترك صغيرة ولا كبيرة في حياة الإمام إلا وأشارت لها وهذا جهد عظيم يحسب للمؤلف وقد استغرق من وقته ما يزيد عن أربع سنوات كما ذكر بنفسه بارك الله في عمره وعمله، وقد كلل الله جهده الوفير بالنجاح والقبول فقامت مشيخة الأزهر

الشريف بطباعته وأثنى عليه كبار العلماء وفي مقدمتهم فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر.

وحتى نكون رفقاء بالقارئ فسوف نتناول هذا المجلد العظيم والفريد - لفظا ومعنى- من خلال مجموعة مقالات يتناول كل منها جانبا من هذا الكنز الخالد، وسوف نتناول هنا في هذا المقال الأول بشيئ من التفصيل مجموعة النقاط أو العناوين التالية كما وردت بالمجلد:

- الإهداء
- رجاء
- شكر لابد منه
- مقدمة لفضيلة العلامة أد حسن الشافعي
- مقدمة للكاتب والإعلامي البحريني عبد الرحمن علي البنفلاح
- مقدمة بقلم مؤلف المجلد د غريب جمعة
- تمهيد عن الإمام الخضر حسين

وقد وردت النقاط السابق ذكرها في بداية المجلد حتى الصفحة الثامنة والعشرين.

بداية أسأل الله تعالى العون والتوفيق في تناول محتوى هذا العمل التاريخي والوحيد الذي تناول هذه الشخصية العظيمة التي تذكرنا بشخصيات التاريخ الاسلامي المشرق من الصحابة والتابعين وصانعي النهضة

العلمية التي أضاءت جنبات الكون حين انطلقت من قلب الشرق فأشرقت بها شمس الحضارة في العالم أجمع، فالقراءة فرض عين على كل مسلم وتوصيل العلم فرض عين على كل صاحب علم كل في مجاله وفي مقدمة تلك العلوم النافعة للإنسان تأتي علوم الدين ودراسة حياة الخالدين من العلماء والأبطال والمجاهدين وتتبع سيرهم المضيئة التي يجب أن تكون أولوية قصوى لكل الطلاب والباحثين ومحبي العلم والغيورين على الأمة الإسلامية.

الإهداء: يستهل د غريب هذا المجلد بإهداء يخص به الصفوة من أهل العلم واصفا إياهم بأنهم ورثة الأنبياء الذين ينهلون ويرسلون العلم لا من أجل منفعة دنيوية لهم بل لوجه الله تعالى وحده كما يثني على نضالهم وبسالتهم في رفع راية الحق والعلم ونشر النور في كل بقاع الأرض، وهذا الإهداء بهذه الكلمات يوضح

مدى تقدير الكاتب للعلم والعلماء وإيمانه الراسخ بدورهم في رسم طريق الفلاح كما ينبه الغافلين إلى أن العلماء هم النماذج التي يجب الاحتفاء والاقتداء بها حتى يرتفع شأن الأمة وتحفظ مكانتها التي خصها الله بها.

كما جاءت في الصفحة الرابعة تحت عنوان (رجاء) تلك الكلمات التي تكررت في مؤلفات الكاتب حيث يناشد كل العيون والعقول التي تبصر أي خطأ ورد في هذا العمل أو غيره أن تقوم بواجبها في التنبيه وإخبار المؤلف بتلك الملاحظات وهذه إشارة واضحة إلى التواضع النادر وسرعة الاستجابة وقوة الرغبة في تدارك أي ملاحظة وهذا من شيم أهل العلم الحقيقيين ونحسب كاتبنا من هؤلاء جزاه الله خيرا.

ونقرأ في الصفحة الخامسة تحت عنوان (شكر لابد منه) هذه الجمل الأنيقة في ألفاظها ومضمونها حيث فيها الاعتراف بالفضل لأهله إذ نرى كاتبنا يوجه الشكر والتقدير لجريدة أخبار الخليج ويخص بالشكر الكاتب والإعلامي البحريني القدير عبد الرحمن البنفلاح الذي كان يشرف على تحرير الملحق الإسلامي الأسبوعي للجريدة وخلاله قدم كاتبنا د غريب عددا ضخما من المقالات عن الإمام الخضر حسين فكانت بعد ذلك فكرة إنجاز هذا العمل الرائع الذي بين أيدينا وظل البنفلاح مساندا وداعما معنويا للمؤلف حتى خرج هذا المجلد إلى النور وصار بين أيدي القراء.

ثم نصل إلى مقدمة حازت خمس صفحات من الصفحة السابعة إلى الحادية عشرة وتلك مقدمة يفخر بها المؤلف وجميع أهل العلم حيث سطرها فضيلة العلامة أد حسن الشافعي - عضو هيئة كبار العلماء ورئيس اتحاد المجامع اللغوية العربية وأحد أقطاب العلم القلائل في عصرنا- وقد تضمنت هذه المقدمة ثلاثة محاور كالتالي:

اولا، ذكر العلامة د حسن الشافعي علاقته بالإمام الخضر حسين حيث كان الشافعي طالبا بالمعهد الديني بالقاهرة عام ١٩٥٢ والتقى حينئذ بالإمام الخضر كما ذكر الشافعي موقفا تاريخيا يتلخص في مطالبته بفتح القاعة الكبرى بالمعهد للاحتفال بالمولد النبوي الشريف وموافقة الإمام وحضوره شخصيا ودعمه المادي والمعنوي للطلاب حيث كان د حسن أحد القيادات الطلابية المهمة والمعروفة.

ثانيا، يعرب د حسن الشافعي عن سعادته بالاستجابة لطلب د غريب بكتابة مقدمة لهذا المجلد ويشيد بفضله في قضاء دين مستحق على جميع الأزهريين بل وكل المصريين نحو الإمام الخضر حسين صاحب المسيرة العلمية والنضالية والدور الذي قام به في كافة الشمال الأفريقي لمواجهة المحتل الفرنسي ثم هجرته وانتقالاته مما سيأتي بالتفصيل لاحقا.

ثالثا، أعاد د الشافعي الثناء واضاف التهنئة للكاتب د غريب جمعة لما اختصه الله به من هذا الفضل دون سواه حيث يقول في الصفحة العاشرة: لقد ذكرت أن الدكتور غريب جمعة قد قضى بإصدار كتابه القيم دينا كان يثقل كواهلنا نحن المصريين وخاصة الأزهريين بتسجيله سيرة الشيخ وتاريخه المجيد بإنجازه هذا العمل القيم. كما أشاد بدور الصحافة البحرينية وخاصة جريدة أخبار الخليج ثم يختم مقدمته بالدعاء للإمام الخضر بواسع الرحمة وعلو المنزلة ومرافقة الأنبياء والمرسلين.

ونصل إلى المقدمة الثانية حيث كلمات الإعلامي البحريني الكبير عبدالرحمن علي البنفلاح والتي اختار لها هذا العنوان: عالم ،، انطوت فيه العوالم. وهذا العنوان له دلالة واضحة وقوية على مكانة الإمام ونبوغه النادر وقد ارتكزت على عدة نقاط أهمها: تهيبه من كتابة مقدمة لهذا المجلد، ثم انتظاره وقتا طويلا حتى وصل لعقله العنوان المناسب ويتضح ذلك من كلماته في صفحة ١٣: لقد اعتدت منذ زمن ألا أجلس لكتابة مقال أو خاطرة حتى تبزغ الفكرة في ذهني على شكل عنوان يظل ثابتا لا أغيره، وقد أعيد النظر في المضمون بالزيادة أو النقصان أما العنوان فيظل كما هو لا يتغير لأنه وليد لحظة إبداع.

ثم توضح السطور مدى دهشة كاتبها من عبقرية الإمام الخضر حسين وإلمامه بكل فروع العلم والمعرفة ذاكرا أنه كان أديبا وخطيبا وسياسيا وعالما في الفقه والتفسير واللغة والحديث حتى إنه أعجز معاصريه عن اللحاق به وقد دافع عن اللغة دفاعا مستميتا.

ثم يتحدث البنفلاح عن حياة الإمام منوها إلى خصومه والحاقدين عليه والساعين لإفشال خططه الإصلاحية والخدمية ورغم ذلك فقد ظل شعلة متقدة نحو الهدف وفي الختام يشيد بدور الإمام وشجاعته كما يشيد بدور د غريب في

تخصيص وقته وجهده متطوعا لإنجاز هذا العمل الذي تنوء به مؤسسات كبرى.

أما المقدمة الثالثة التي بدأت من صفحة ١٧ حتى صفحة ٢٤ فقد كتبها صاحب العمل العالم د غريب جمعة مشيرا إلى تتبعه من خلال مقالاته لسيرة بعض الأعلام الخالدين في التاريخ الإسلامي راجيا بذلك وجه الله تعالى دون سواه وذلك من باب العرفان والوفاء لكل صاحب فضل في تاريخ الأمة كما أوضح أن الحديث عن العظماء هو إحياء للدين والقيم العليا والأمجاد الرفيعة وذكر لنا قول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه في صفحة ١٨: الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إلي من كثير من الفقه لأنها آداب القوم وأخلاقهم.

ويشير كاتبنا إلى وصف الأمة بالجحود حين تنسى علماءها ورجالها وأبطالها فهي تفرط في دينها وتاريخها ونؤيده في هذا حيث لا يليق بأمة كلفها الله بنشر تعاليمه السماوية الرفيعة التي من شأنها إصلاح الأمم والشعوب. وفي صفحة ١٩ يناشد المؤلف الشباب أن يعكفوا على دراسة سير العظماء والتزود منها لكشف الطريق القادم لهم دون معاناة، ثم ينوه إلى المراحل الثلاثة من حياة الإمام الخضر حسين وهي كالتالي: التونسية ٤٠ سنة، السورية ٨ سنوات، المصرية ٣٨ سنة ثم يلقي نبذة موجزة قبل الدخول إلى إلى التفاصيل الدقيقة والطويلة.

وما نختم به مقالنا هذا هو التمهيد الذي أورده الكاتب عن الإمام العلامة وقد جاء في أربع صفحات تبدأ من الخامسة والعشرين حتى الثامنة والعشرين أشار خلالها إلى مقومات شخصية لهذا الشيخ الجليل حيث وصفه بالرجولة الحقة والإيمان الصادق والتضحية والكفاح والدفاع عن العقيدة وغير ذلك من صفات العظماء وليس أدل على سعة محيط علم الإمام الشيخ من هذا الموقف الذي ذكره الكاتب عند قدوم الإمام إلى مصر ورغبته في الحصول على شهادة العالمية حيث تم تشكيل لجنة من كبار علماء الأزهر لامتحان الشيخ وكأنهم أرادوا تعجيزه وهو الذي لم يدرس قط في الأزهر بالإضافة لكبر سنه الذي وصل إلي خمسين عاما ورغم كل ذلك اثبت الإمام الخضر كفاءة نادرة وقدرة فائقة وعلما ليس له حدود مما جعله مصدر فخر وإعجاب للجميع وتم انتدابه للأزهر أستاذا وبمرور الأيام صار شيخا للأزهر.

وتمضي السطور إلى توضيح الفروق العظيمة بين الإمام وغيره من العلماء الذين

رضخوا لمصالح دنيوية زائلة وأشار كذلك إلى رغبة الإمام الخضر في تقسيم مسيرة حياته إلى ثلاث مراحل وتلك وصية منه نقلها ابن أخيه الأستاذ علي الرضا الحسيني المحامي وتلك المراحل هي التونسية والسورية والمصرية وسيأتي تفصيل ذلك لاحقا في المقالات القادمة ويختم المؤلف مقدمته بطلب العون من الله ومناشدة القارئ بالتحلي بالصبر لاكتشاف صفات العظمة عند الإمام.

وبعد هذا العرض الذي يهيئ القارئ لفهم المحتوى ويمنحه القدرة على السباحة في هذا البحر الهائل من المعلومات نود الإشارة إلى حسن التقسيم وذكاء الكاتب في اختيار شخصيتين مرموقتين لكتابة مقدمتين من أروع المقدمات وهذا يشير إلى حسن التخطيط لإنجاز هذا المشروع العلمي العظيم والفريد عن هذه الشخصية العلمية النادرة، وإلى لقاء في مقالات قادمة ومزيد من الإبحار في هذا المنجز التاريخي، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

بقلم: الأستاذ محمد حسن إلياس

ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

الشيخ السيّد أبو الأعلى المودودي: مفكر صنع عصرًا

(الحلقة الثانية والأخيرة)

[تنشر هذه المقالات تحت عنوان "السير والسوانح للشخصيات"، وهي تعكس آراء وتحقيقات مؤلفيها الكرام، المستندة إلى أبحاثهم الخاصة، لذا، لا يلزم أن تتوافق المؤسسة مع جميع ما يرد فيها]

ويمتاز منهجه في هذا السياق بأنه لا يقيّد نفسه بمذهب فقهي معيّن، وإن كانت سعة أفقه الفقهي تعكس الميل إلى المدرسة الحنفية، إلا أنه لم يرض بالتقليد، بل اتجه إلى الاجتهاد المبني على المقاصد، والسياق، والمنطق القرآني. فحين يتناول قضية الربا، لا يقتصر على سرد الأقوال الفقهية، بل ينطلق من أبعادها الأخلاقية في القرآن، ومن روح العدالة الاجتماعية، ومن رفض الاستغلال الاقتصادي، ليصل إلى تحريمها بمنطق أصولي وزمني متكامل. وهذا النهج يظهر أيضًا في تناوله لقضية الحجاب، حيث لا يقتصر على نصوص الآيات والأحاديث، بل يربطها بالسيرة النبوية، والسياق الاجتماعي، والضرورات المجتمعية، ويقدّم تفسيرًا ينسجم مع المنهج الكلي للفكر الإسلامي.

وهذه البصيرة الأصولية هي جوهر مشروعه الاجتهادي؛ فهو لا يضع المنهج السلفي التراثي مقابل المنهج الفقهي الأصولي، بل يسعى إلى تحقيق التلاقي بينهما.

فلايقدّس التراث على حساب العقل، ولا يقدّم العقل على حساب النص، بل يقيم توازنًا دقيقًا بينهما. ففي تصوّره للدولة الإسلامية، يمارس هذا التوازن ذاته: يؤكّد على سيادة القرآن، وعلوّ الشريعة، ووجوب طاعة الله، وفي الوقت نفسه يُفصّل في مفهوم الشورى، والمشاركة الشعبية، والنظام القانوني، ويعيد صياغة هذه المفاهيم في ضوء الاجتهاد المعاصر.

ومن فرادة منهجه الاستدلالي أنه يركّز على معالجة القضايا بحسب طبيعتها الواقعية، فكل مسألة جديدة، وكل سؤال عصري، عنده ليس مجرّد طلب فتوى، بل دعوة إلى التفكير. ولهذا يتعامل مع الخلاف على أنه ضرورة فكرية لا مفر منها، ويخوضه بروح علمية، سواء كان في الحجاب، أو في حقيقة الربا المصرفي، أو في تفسير مفهوم إتمام الحجة في القرآن. ففي هذا المفهوم الأخير على وجه الخصوص، لا يعتمد فقط على الروايات، بل يستند إلى أسلوب القرآن في الدعوة، وتاريخ الأنبياء، وأسس الفطرة الإنسانية، ليبني اجتهادًا جديدًا تتآلف فيه النصوص والعقل والتاريخ، وتصبح جميعها محاميًا عن رؤية موحدة، متوازنة، وشاملة.

إن هذا الانسجام الفكري هو ما يتجلّى بوضوح في مؤلفات الشيخ المودودي مثل نظام الحياة في الإسلام، والنظرية السياسية في الإسلام، والدولة الإسلامية، ورسائل ومسائل، وتفهيم القرآن. ففي كتاباته لا نجد مجرد تفسير ديني، بل نلمس منهجًا في الاستدلال، وأصلًا في التأويل، وحركة فكرية اجتهادية تتغلغل في بنيتها من البداية إلى النهاية.

وهذا كلّه دليل واضح على أن الشيخ المودودي لم يقدّم في هذا المجال الثاني من الفهم الديني مجرد شروح جزئية أو ردود آنية، بل أبدع مشروعًا تجديديًا على مستوى البرهنة، والأصول، وبناء النسق الفكري، أخرج الفكر الإسلامي من قالب التكرار إلى أفق الاجتهاد. واجتهاده هذا ليس مقطوعًا عن التراث، ولا منبهرًا بالحداثة؛ بل يعرض الدين ضمن تفاعل حيّ بين العقل، والوحي، والتجربة الإنسانية. وهذا بعينه هو المعيار الثاني في وصف المفكر بأنه صانع عهد ومجدد فكر.

أما الدائرة الثالثة، فهي دائرة النقد والمراجعة والوعي الفكري، وهي البعد الذي يشكّل لبّ الأسلوب الاجتهادي عند المودودي، ويظهر في كتاباته كوجه أصيل ومستقل. فهو لا ينكر قداسة التراث، لكنه أيضًا لا يسلّم له تسليمًا مطلقًا

يجعله بمنزلة المسلّمات غير القابلة للمراجعة. عنده أن التراث، سواء أكان فقهيًا أم تفسيريًا، حديثيًا أم صوفيًا، إذا آل في أي مرحلة من مراحله إلى جمود فكري، أو إلى خدمة مصالح طبقية، أو إلى تعطيل للاجتهاد، فإن نقده العلمي الرصين يصبح فريضة فكرية لا بد من أدائها.

وتتجلى هذه الروح النقدية أوضح ما تكون في كتابيه "تنقيحات" و"الخلافة والملك"، حيث يتناول بالنقد مبدأ التوريث في الحكم، الذي سعت السياسة التاريخية إلى تحويله من مصلحة وقتية إلى قيمة دينية مطلقة. كما يرفع صوته ضد الفقه التقليدي الذي قزّم الاجتهاد إلى مجرد تقليد للفتاوى، وجعل الدين عاجزًا أمام المسائل المستجدة. ومن أمثلة ذلك نقده للأحاديث المتعلقة بحقّ الوصية، والتي فسّرتها بعض المذاهب الفقهية كتحريم مطلق للوصية للورثة، في حين أن القرآن يعرضها كحق ثابت. هنا، لا يرفض المودودي الحديث ذاته، بل يدعو إلى دراسة أفقه، وسياقه، ومجاله التطبيقي ضمن اجتهاد معاصر.

وكذلك الأمر في بعض تعاليم التصوف، مثل مفهوم "الفقر الروحي" أو "الفناء في الشيخ"، إذ يطرح الشيخ المودودي أسئلة نقدية حولها، ويعيدها إلى محك الفحص في ضوء القرآن والسنة. ويرى أن مثل هذه المفاهيم إذا أضعفت وعي التوحيد، أو مسّت حرية الإنسان، أو جرّدته من مسؤوليته الأخلاقية، فإن انتقادها يصبح واجبًا شرعيًا وفكريًا. وفي السياق ذاته، يتعامل مع بعض الأحاديث النبوية بتوقّف علمي، كحديث "الدنيا سجن المؤمن"، فلا يأخذ ظاهره الحرفي على إطلاقه، بل يحثّ على فهم دلالته الروحية في ضوء سياقه الزماني والمعنوي.

وهذه الجرأة النقدية هي التي منحت الشيخ المودودي الثقة ليعبّر عن رأيه حتى في تطبيقات الشريعة الإسلامية ذات الطابع الطبقي. فهو يرى أن بعض تطبيقات الشريعة، مثل الشروط الصارمة في إثبات جريمة الزنا، أو مضاعفة الشهادة في إقامة الحدود، إذا أصبحت عائقًا أمام تحقيق العدالة الاجتماعية، فإن من الواجب مراجعة حكمتها الفقهية وجدواها المجتمعية، لا أن تفرض باعتبارها قوانين جامدة بلا تمحيص أو تأمل.

إن نقد المولانا لا يقتصر على التراث الإسلامي فحسب، بل يتعدّاه إلى تناول التأثيرات الفكرية الغربية التي، تحت شعارات العَلمانية والقومية والمادية

العلمية، تسعى إلى تقويض الذات الإنسانية، والنيل من القيم الأخلاقية، والتشكيك في سموّ الوحي. ويبرز هذا الوعي النقدي في مؤلفاته المتعددة، حيث لا يكتفي بفضح التناقضات الكامنة في الفكر الغربي، بل يعمل أيضًا على إبراز الاستقلال المعرفي للفكر الإسلامي واستعادة مكانته الأصيلة.

إن هذا المنهج النقدي ليس نتاج ذهنية هدامة، ولا نتيجة انفعالات عاطفية تقوم على الرفض والمعارضة، بل هو انعكاس لذكاء علمي، وأمانة اجتهادية، ووعي حضاري متجذّر. إنه صوت اجتهادي يتردّد وسط صمت التقليد الرهيب، وشرط أول لإحياء الفكر الإسلامي من جديد. إنها بصيرة نقدية فتحت نوافذ الاجتهاد في جدران التقليد، ومنحت التراث الإسلامي القدرة على الحوار مع أسئلة العصر، بدلًا من التوقف عند حدود الاستظهار والانبهار.

وبعد هذه المساهمات المتميزة في الدوائر الثلاث السابقة، تتجلى أعظم إنجازات الشيخ أبو الأعلى المودودي في الدائرة الرابعة، وهي الأكثر شمولًا واتساعًا، حيث لا يكتفي بتفصيل الأصول أو تحليل المفاهيم، بل يقدم الدين بوصفه نظام حياة شاملًا، متكاملًا، ومترابطًا. في هذا المستوى، يتحول وعيه العلمي والاجتهادي إلى رؤية حضارية، ويتجاوز موقع المفكر والمفسر، ليصبح مؤسّسًا لتعبير جديد، وبانيًا لمشروع فكري متفرّد.

إن هذه الدائرة الرابعة، والأكثر شمولًا، هي التي تتوحد فيها جهود الشيخ المودودي الفكرية والاجتهادية والتجديدية في صورة تفسير كامل ومعاصر للدين، لا يقتصر على تقنين المبادئ أو نقد التراث، بل يبلور نظامًا فكريًا ومدنيًا جديدًا، مرتبطًا بالماضي، منفتحًا على الحاضر، ومضيئًا دروب المستقبل.

لقد منح الشيخ المودودي للفكر الديني اتجاهًا جديدًا، إذ قدّم تأويلًا للدين يمكن أن يوصف بحق بأنه تأويل سياسي. فهو لم يقصر الدين في نطاق الخلاص الفردي، أو الأخلاقيات الصوفية، أو الشعائر التعبدية، بل اعتبر الدولة الأداة المركزية لتطبيق الشريعة. فالدين عنده هو نظام شامل للحياة، يشمل الاجتماع، والاقتصاد، والقانون، والسياسة، والعلم، والحضارة بكل أبعادها. ومن هذه الزاوية، يمكن اعتبار المودودي مؤسس هذه الرؤية، التي انتقلت بالدين من منابر الوعظ وفتاوى الفقهاء إلى فضاء النظام الاجتماعي، والسياسي، والمدني. وبذلك، منح الدين أفقًا

حضاريًا جديدًا، وعمقًا عمليًا ملموسًا.

وتمثل كتاباته مثل المفاهيم الأربعة الأساسية في القرآن الأساس الفكري لهذا النسق التأويلي، حيث أعيدت مفاهيم القرآن صياغة ومعنى بعمق دلالي واتساع فكري جديد. ففي هذا الكتاب، يرسم الشيخ المودودي خطًّا فاصلاً بين "الإسلام" و"الجاهلية"، ويقدم الحضارة الغربية الحديثة بوصفها "الجاهلية المعاصرة". وفي مقابلها، يطرح نموذجًا إسلاميًّا شاملًا يوجه الإنسان في حياته الروحية، والأخلاقية، والقانونية، والسياسية. وبالطريقة ذاتها، فإن مؤلفاته مثل برنامج الحركة الإسلامية القادم، الدستور الإسلامي، ما هي الدولة؟ والقضايا الأساسية في الاقتصاد الإسلامي، ليست مجرّد اقتراحات إصلاحية، بل تمثل بناءً فكريًّا ومدنيًّا شاملًا. ففيها يعرض الدين بوصفه نموذجًا اجتماعيًّا ودولتيًّا منتظمًا، حيث تتلاقى مفاهيم القانون، والقوة، والأخلاق، والدعوة في مركز واحد منسجم. وليست هذه الرؤية عند الشيخ المودودي موقفًا فلسفيًّا مجرّدًا، بل هي تفاعل حيّ بين الوعي الحركي، والتحديات الفكرية، وجرأة الاجتهاد. فهو لم يختصر الدين في حدود المصطلحات الكلامية أو نجاة الفرد، بل صاغه بلغة الوعي الحضاري والسياسة العملية. لقد جمع الأجزاء المتفرقة للدين، ونسج منها نظامًا فكريًّا متكاملًا، يوحّد الإنسان والمجتمع، والسلطة والعلم، والقانون والأخلاق، في نسيج داخلي متناغم. وهذا الإنجاز هو ما يرفع المفكر من كونه مجرد عالم إلى أن يكون مفكرًا مؤثرًا في مصير الأمة وصانعًا لعصره. وهنا تتجلّى شخصية الشيخ المودودي لا كمفسّر أو فقيه أو داعية فحسب، بل بوصفه معماريًّا حضاريًّا، ومفكرًا حركيًّا، ومجددًا في سياق الفكر الإسلامي. مفكر لا يكتفي بحمل أمانة التراث، بل يراجعها، ويجددها، ويعيد بناءها.

في مجالات التأصيل المنهجي، والتنظيم الفكري، والنقد التحليلي، والتفسير الشامل، قد تثار خلافات حول آراء الشيخ المودودي رحمه الله، غير أن أي قارئ جاد لتاريخ الفكر الإسلامي لا يمكنه إنكار أن الشيخ المودودي كان واحدًا من أعلام هذه المدرسة الكبرى. فقد كان مفكرًا استثنائيًّا منح الفكر الإسلامي في عصره اتجاهًا جديدًا، ولغة معبّرة، وقوة مؤثرة، حتى غدا شخصية فريدة في ساحة التجديد الإسلامي المعاصر.

بقلم: نعيم أحمد بلوش

نقله إلى العربية: الأستاذ عثمان فاروق

حياة أمين

سيرة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي

[وفقًا لوصية صاحب "تدبر القرآن"، هذه صفحات
من سيرته بقلم كاتبها نعيم أحمد بلوش]
(الحلقة السابعة)

دراسة الفلسفة والسياسة

لم يقتصر تحصيل أمين أحسن الإصلاحي على علوم الدين واللغة العربية فحسب، بل قرأ أيضًا بعض الكتب باللغة الإنجليزية، وتلقى مباحث في السياسة والفلسفة على يد أستاذه الإمام الفراهي. وقد أشار الشيخ الإصلاحي إلى أنه قرأ كتاب "نظرية الدولة" للمفكر الألماني بلينتشلي، قراءة متأنية درسًا بعد درس، حتى استوعب مضمونه بدقة. والكتاب المشار إليه هو من تأليف العالم الألماني يوهان كاسبار بلنتشلي (Johann Kaspar Bluntschli)، وقد نشر لأول مرة باللغة الألمانية سنة ١٨٧٥م، ثم ترجم إلى الإنجليزية في عام ١٨٩٥م.

ويعدّ من المؤلفات الرائدة في تحليل مفهوم الدولة وتطورها التاريخي، ويقع في نحو خمس مئة صفحة. ولا شك أن قراءة هذا العمل "كلمة بكلمة" تدل على دراسة مزدوجة، فهم المعاني السياسية والفكرية من جهة، وتحليل البنية اللغوية للنص الإنجليزي من جهة أخرى. وقد صرّح الشيخ الإصلاحي أن هذه الدراسة العميقة كان لها أثر بالغ في تأليفه لكتابه المعروف "الدولة الإسلامية"، حيث شكلت له أساسًا مرجعيًا مهمًا في النظر السياسي الإسلامي. أما في الفلسفة، فقد ذكر الشيخ أنه تناول عددًا من مباحثها بمساعدة الإمام الفراهي، لا سيما تلك

التي لها صلة وثيقة بالقرآن الكريم ومنهجه في التفكير. وفي هذا السياق، يشهد الدكتور شرف الدين الإصلاحي قائلًا:

"في تلك الفترة، قرأ الشيخ الإصلاحي، إلى جانب القرآن الكريم، بعض فروع الأدب العربي والفلسفة المرتبطة بفهم القرآن الكريم. ومن البيّن أن هذا النوع من الدراسة تم خارج نطاق حلقة درس التفسير القرآني المعتادة."

(ذكر الفراهي، ص: ٥١٠)

إشكالية الجبر والاختيار

تعدّ مسألة الجبر والقدر من أعقد المسائل التي يواجهها كل طالب علم يسعى لفهم دقيق، ولا يرضى بكبت السؤال أو التهرب منه دون جواب شاف. وقد صرّح الشيخ أمين أحسن الإصلاحي أنه هو نفسه واجه هذه الإشكالية في مرحلة من مراحل طلبه، إذ خطر بباله هذا التساؤل:

إذا كان الله تعالى يعلم مسبقًا ما سيفعله كل إنسان، فكيف يحاسب الإنسان على أفعاله؟ وإن كان الله يعلم أن فلانًا سيرتكب الشر والجريمة، فلابد أن يقع منه ذلك لا محالة، وإلا لكان علم الله ناقصًا! فكيف نحمّله مسؤولية أفعال كان وقوعها معلومًا محتومًا؟

ولا يتّضح من روايات الدكتور شرف الدين الإصلاحي ولا من رواياتنا المباشرة ما إذا كان هذا السؤال قد ورد في ذهن الشيخ الإصلاحي أثناء دراسته في المدرسة أو في أثناء تلمذته للإمام الفراهي، إلا أن الدكتور شرف الدين يروي أن الشيخ دخل يومًا على أستاذه وجلس عند طرف سريره، ففهم الإمام أن أمرًا هامًا يقلقه. ومن هذا السياق يستشف أن السؤال ربما طرح في المرحلة الثانية من صحبته. أما عن الجواب، فيذكر الشيخ أن الإمام الفراهي لم يطل الشرح، بل قال بكل بساطة:

"إنما علم الله يتعلق بما يختاره العبد بنفسه، ولهذا فهو مسؤول."

ويعلّق الشيخ الإصلاحي قائلًا:

"بهذه الكلمات القليلة: (بما يختاره بنفسه)، انقشعت الغشاوة من ذهني، ولم يعد لهذا الإشكال سلطان عليّ بعد ذلك."

ثم أثنى على أستاذه الإمام الفراهي، مبينًا أن من خصائصه التربوية أنه كان يخاطب

تلاميذه على قدر عقولهم، ويعالج كل إشكال من صميم ما يعتمل في نفوسهم، لا من خارجها.

مسألة الإلحاد

وقد سألناه في أحد المجالس: هل ساورك في شبابك، ولو مرة، شكّ في وجود الله تعالى؟

فأجاب بابتسامة هادئة:

"كان حالي في هذا كشأن أستاذي الإمام الفراهي. لقد أخبرني مرة أنه لم يخطر بباله هذا السؤال إلا مرة واحدة، عرضًا وسطحًا، فقال في نفسه: هل يمكن أن تكون هذه الكائنات بلا خالق؟ فكان الجواب الباطني فورًا: لو لم تكن هذه المنظومة منضبطة بقانون صارم، لكان الأمر قابلًا للنقاش. أما وهي تسير بهذا الانضباط، فالإلحاد ليس خيارًا عقليًا أصلًا."

ثم أضاف:

"وأنا أيضًا لم أجرّب هذا التساؤل إلا مرة واحدة في حياتي، ولحظةً عابرة. ولكن العقل أجابني في التو: الإلحاد فكرة غير عقلانية."

وكان الشيخ في مجالسه كثيرًا ما يردّد عبارته الشهيرة إذا طرح عليه الاستدلال بـ"العلة والمعلول" على وجود الله، فيقول:

"العلة والمعلول لا تصلحان دليلًا على وجود الباري، فقد يكون المعلول مجرد صنعة شيطان أو كائن خرافي. أما أنا، فأؤمن بإله حيّ قيّوم، قادر مطلق، عرّفنا بذاته من خلال كتابه، وتراءت آثار صفاته في كل ذرة من ذرات الكون."

صلة الوفاء بالأستاذ

في هذا الباب، يكفينا أن ننقل اقتباسًا بليغًا عن أستاذنا الجليل جاويد أحمد غامدي، يعبّر فيه عن عمق الصلة بين الشيخ أمين أحسن الإصلاحي وأستاذه الإمام حميد الدين الفراهي، إذ يقول:

"كان يحدثنا قائلًا: في أواخر حياة الإمام الفراهي، أفتى أحد كبار علماء الهند بكفره بسبب ما كتبه في إحدى رسائله. وقد أحدث هذا الفتوى ضجة كبيرة، وانتشر الاضطراب في أرجاء المنطقة. شعر طلاب وأساتذة مدرسة الإصلاح بالقلق الشديد، وكنت أنا أيضًا أعيش لحظة مأساوية لا تنسى. في

غمرة ذلك الاضطراب، أسرعت أبحث عن أستاذي الإمام حتى وصلت إلى دار المطالعة، فرأيته واقفًا على درج السلم. ركضت نحوه وأخبرته بالخبر، وأنا أتوقع منه ردة فعل تتناسب مع حجم الكارثة التي كنا نعيشها. لكنه وقف لحظة واحدة على السلم، ثم واصل صعوده وقال بهدوء: حسنًا، الشخص الذي تتحدث عنه لا يعرفني أصلاً. وقفت مشدوهًا أنظر إليه. لقد كان ذلك التعليق أبلغ ردٍّ يمكن أن يُقال في مثل هذا الموقف. وكان الأستاذ الإصلاحي يصفه دومًا بشغف قائلاً: كان الفراهي هكذا، فمن أين لنا اليوم أن نجد رجلًا بهذه العظمة؟"

(المقامات، صـ ٨٣–٨٤)

ومن الجدير بالذكر أن الإمام الفراهي تعرّض لفتويين شهيرتين بالتكفير إحداهما في حياته، والأخرى بعد وفاته. وسنأتي على ذكر تفاصيلهما في موضع مستقل لاحقًا، إن شاء الله.

(يتبع ...)

الشعر والقريض

الشاعر: العلّامة الدكتور محمد إقبال

نظمها بالعربية شعرًا: الشيخ صاوي علي شعلان المصري (١٩٠٢–١٩٨٢م)

الشكوى وجواب الشكوى

(حديث الروح)

(الحلقة الثالثة)

كم زُلزل الصخر الأشمُّ فما وَهى ... من بأسنا عزم ولا إيمانُ

لو أن آسادَ العرين تفزَّعتْ ... لم يلقَ غير ثباتنا الميْدانُ

وكأنَّ نيران المدافع في صدُو ... رِ المؤمنين الرَّوْح والريحانُ

توحيدُك الأعلى جعلنا نقشَهُ ... نورًا تضيء بصُبحه الأزمانُ

فغدتْ صُدورُ المؤمنين مصاحفًا ... في الكون مسطورا بها القرآنُ

***

مَن غيرُنا هدَم التماثيلَ التي ... كانت تقدسها جهالاتُ الورَى

حتى هوتْ صُورُ المعابد سُجَّدًا ... لجلال من خلقَ الوجودَ وصوَّرا

ومَنِ الأُلى حملوا بعزمِ أكُفِّهمْ ... بابَ المدينة يومَ غزوة خيْبرا

أمَّن رمى نار المجوس فأُطفئَتْ ... وأبان وجه الحق أبلجَ نيِّرا

ومَن الذي بذَل الحياة رخيصةً ... ورأى رضاك أعز شيْءٍ فاشترى

(يتبع...)

الشاعر: الدكتور صلاح عدس*

رسالة إلى أبطال كشمير

(ألقى شاعرنا الجليل هذه القصيدة في الخامس من أغسطس عام ٢٠٢٥م، بسفارة باكستان في القاهرة، جمهورية مصر، دعمًا لكفاح شعب كشمير الباسل ضد الاحتلال الهندي)

لما صرنا كغثاءِ السيلْ،
رغمَ الكثرةْ
هجمَ الأكلةْ
من كلِّ الأممِ القتلةْ
علينا كالقصعةْ
ضاعت من أيدينا المشلولةْ
أحلام الأندلس المفقودةْ
أتضيعُ الآنَ كشميرْ
آهْ
كلا واللهْ
لن تنهشَها الأنيابُ الهنديةْ
كشميرُ سوف تعود
كشميرُ سوف تعود
ستعودُ لتزأرَ
في الغاباتِ الباكستانيةْ
فتحسسْ رأسَكْ

تحسسْ رأسَكْ
فالقادمُ نحوك جنكيز خان وتيمور لانك
ارفع سيفَك
اشربْ كأسَ الموتِ فلستَ تموت
وستبعثُ في عين جالوت
وليستيقظ قطزُ وبيبرس
وأيبكُ وصلاح الدين
ساعتها
سوف تكونُ لنا حطين
فارفع سيفَ خليلِ بن قلاوون
فالقادمُ خلفَك جيشُ صليبيينْ
لا تتهاونْ
إنْ هادنتَ لسوفَ تهونْ
إنْ هنتَ لسوفَ تخونْ
في هذا الزمنِ المأفونْ
زمنُ الفرعونِ وقارونْ
زمنُ ثمود
وعادَ وهود
ولوطَ وأصحابِ الأخدودْ
ويهود
وهنود
الدرهمُ معبودْ
والمسلمُ مطرودْ
فارفعْ سيفَك
فالقادمُ نحوك
جيشُ الرومِ البائدْ
فلينهضْ عمرو بن العاصِ وخالدْ

وا إسلاماهْ
وا معتصماهْ
وا قدساهْ
وا كشميراهْ
السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ
فارفعْ سيفَك
فالقادمُ حولك
جيشُ الإفرنجِ الهالكْ
واتحدوا
يا كلَّ ملوكِ طوائفِنا
واجمعهم
يا يوسف بن تاشفين
في الزلاقة
في الزلاقة
فالزلاقة
ما زالت ترنو مشتاقة
لسيوفِكم البراقةْ
ولنضربْ الفونسو الملعونْ
ساعتَها
سوف يعودُ الفردوسُ المفقودْ
كشمير
سوف تعود
لن تنهشَها الأنيابُ الهنديةْ
ستعود لتزأرَ
في الغاباتِ الباكستانيةْ
كشمير
سوف تعود

كشمير
سوف تعود
وسيأتي نصرُ اللهْ
متى نصرُ اللهْ؟
ألا إنَّ نصرَ اللهِ قريبْ

---

* يسرنا في مجلة "الإشراق" أن نعرّف قراءنا الكرام الدكتور صلاح عدس، رائد الأدب الإسلامي في العصر الحديث، ولد في الخامس من أكتوبر عام ١٩٤٣م بقرية بهوت بمحافظة الدقهلية، جمهورية مصر، لأسرة من ذوي الأملاك الزراعية في عهد الملك فاروق. التحق بكتاب القرية فحفظ القرآن الكريم الأمر الذي أسهم في إتقانه اللغة العربية، انتقل من قريته إلى مدينة المنصورة ليتلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة الملك الصالح مرافقا لأخيه الأكبر الكاتب محمد يوسف عدس، الذي كان له أثر بارز في توجيهه نحو الثقافة، إذ كان حينها يدرس الفلسفة بجامعة القاهرة ورحل معه الدكتور صلاح عدس إلى القاهرة ليلتحق بمدرسة الإبراهيمية الثانوية.

شهد الأديب د. صلاح عدس أحداثا سياسية بارزة إذ كانت قريته بهوت مسرحا لأول ثورة ضد الإقطاعيين قام بها الأهالي عام ١٩٥١م ضد الباشا البدراوي حيث أحرقوا قصره فكانت تلك الانتفاضة الشعبية تمهيدا لثورة يوليو ١٩٥٢م كما تركت نكسة ١٩٦٧م أثرا عميقا في نفسه فزاد غضبه وإحباطه وانعكس ذلك في مسرحياته المستوحاة من التاريخ الإسلامي.

تخرّج في كلية القصر العيني عام ١٩٦٦م لكنه لم يزاول مهنة الطب إذ كان شغفه بالأدب أقوى فكان خلال دراسته يجوب كليات الجامعة ويلتقي بأعلام الفكر والأدب في عصره ومنهم الدكتور أحمد هيكل أستاذ الأدب بدار العلوم والدكتور رشاد رشدي أستاذ الأدب الإنجليزي بكلية الآداب كما تأثر تأثرا كبيرا بالكاتب الكبير عباس محمود العقاد فقرأ جميع مؤلفاته وحضر ندواته الأسبوعية في منزله بالقاهرة مقتديا به في ثقافته الموسوعية كذلك شغف منذ صغره بالآداب العالمية واتخذ من أخيه المفكر الإسلامي محمد يوسف عدس قدوة ومثلا أعلى.

تنوع نتاج الدكتور صلاح عدس الأدبي والفكري بين الإبداع الشعري والمسرحي والمقالة

والدراسات الأدبية والنقدية والكتب الإسلامية والمختصرات والملخّصات المترجمة لأعمال عالمية بالإضافة إلى ترجمات لروايات أجنبية ومن أبرز دواوينه الشعرية "الثورة المختار" و"الطريق إلى مكة".

وقد كتب عشر مسرحيات شعرية في إطار المسرح الإسلامي تشهد على تميزه وإبداعه وهي: البعث، أبو زيد الهلالي سلامة، عبد الله بن حذافة والقيصر، الحسين الثائر الشهيد، مأساة القدس، حبيب بن زيد ومسيلمة الكذّاب، السلطان عبد الحميد، بلال الثائر، السيدة زينب ويزيد، مأساة المعتمد بن عباد، وكلها تجسد ملامح أدبه الملتزم وقيمه الإسلامية.

استلهم أديبنا الكبير الدكتور صلاح عدس كثيرًا من شاعرنا القومي العلامة الدكتور محمد إقبال، وقام بترجمة محاضراته الإنجليزية الشهيرة

"The Reconstruction of Religious Thought in Islam"

إلى اللغة العربية بعنوان "تجديد الفكر الديني في الإسلام".

(الأستاذ عثمان فاروق)

الشاعر السوري عمر محمود ضوبع

"الأرجوزة السّميّة من الشمائل المحمّدية"

[في هذا العدد المصادف لشهر ربيع الأول المبارك ، يشرّفنا أن نقدّم لقرّاء «الإشراق» مختارات نفيسة من درر الشعر التي نظمها الشاعر السوري المبدع عمر محمود ضوبع في رائعته «الأرجوزة السّميّة من الشمائل المحمّدية»، وهي قصيدة فريدة جمعت أوصاف الحبيب المصطفى ﷺ كما وردت في «الشمائل المحمدية» للإمام الترمذي، في قالب شعري سلس عذب يقرّب المعاني وييسّر حفظها.

والنص الأصلي مزدان بشرح موجز، استوعب فيه المؤلف ما ورد في «الشمائل المحمدية» للإمام الترمذي من الأحاديث النبوية الشريفة، غير أنّ ضيق صفحات هذا العدد حال دون نشره كاملًا، فاكتفينا بإيراد الأبيات المختارة دون الشرح.]

(حُسْنُ مَعْشَرِهِ ﷺ):

وَكَانَ أَكْرَمَ الوَرَى في المَعْشَرِ ... أَبْعَدَ ما يَكُونُ عَنْ تَجَبُّرِ
سَهْلاً وَلَيِّنًا على الأَصْحَابِ ... وَلَيْسَ بِالصَّخَّابِ وَالعَيَّابِ
وَلم يَكُنْ بِالفَظِّ وَ الغَلِيْظِ ... بَلْ صَابِرًا وَ كَاتِمًا لِلْغَيْظِ

(مُجالَسَتُهُ للنَّاس ﷺ):

يُدني الجَلِيْسَ يَقبَلُ الهَدِيَّهْ ... وَنَفْسُهُ رَضِيَّةٌ هَنِيَّهْ
لَكِنَّهُ يَأنَفُ عَنْ تَصَدُّقِ ... معْ آلِ بَيتِهِ عليهِ يَرتَقِي
يُصْغِي إلى جَلِيْسِهِ بِمَسْمَعِ ... يُجِيْبُ دَعْوَةَ العَبِيْدِ إنْ دُعِي

يَلوِي بِصَدْرِهِ إذَا تَلَفَّتَا مُعَظِّمًا كَلِيْمَهُ وَمُنْصِتا
لا يَقْطَعُ الحَدِيْثَ حتَّى يَنتَهِي وَلَا يُشِيْحُ عَنْهُ كَالمُسَفِّهِ

(حَيَاؤُهُ وَمُزَاحُهُ ﷺ):

وَكَانَ كَالعَذْرَاءِ في الحَيَاءِ يَسْمُو على الإكْثَارِ وَالمِرَاءِ
يَعفُو عَنِ المُسِيْءِ لَيْسَ يَأبَهُ لَكِنْ يُرَى في وَجْهِهِ مَا يَكْرَهُ
أمَّا مُزَاحُهُ فَكَانَ نَذْرا بِالحَقِّ لا يَقُولُ فِيهِ هَذْرا

(عَدَالَتُهُ وحُبُّهُ للخَيرِ ﷺ):

يُحَسِّنُ الجَميلَ لا يُسِرُّهُ يُقَبِّحُ القَبيحَ لا يُقِرُّهُ
وَيَقبَلُ الثَّنَاءَ مِنْ مُكَافِئِ وَلَا يُجَازِي سَيِّئًا بِسَيِّئِ

(جَبْرُهُ لِلخَوَاطِرِ ﷺ):

يَزُورُ صَحْبَهُ يَعُودُ ذَا مَرَضْ مُبَادِرًا بِالخَيرِ لَيْسَ بِالعِوَضْ
يُجيبُ سَائِلاً يُعِيْنُ عَاجِزا يَحمِي الضَّعيفَ يَشْهَدُ الجَنَائِزَا
يَخْدِمُ أهْلَهُ يُعِيْنُ صَحْبَهُ وَكُلُّ مَنْ خَالَطَهُ أحَبَّهُ
حتَّى غَدَا أبًا لِكُلِّ مُسْلِمِ نَفْسِي الفِدَاءُ لِلنَّبِيِّ الأعظَمِ

الشاعر: برويز حاصل الندوي*

قصيدة في مدح الصحابة رضي الله عنهم

رضي الإلهُ عن الصحابة كُلِّهِمْ ... وأعزّهمْ بودادِهم لمحمدِ
ورضُوا كما رضي الغفورُ إلٰهُنا ... كلٌّ من الأصحاب حقًّا مهتدي
فهمُ نجومٌ في ظلامٍ مظلِمٍ ... بهداهمُ في الدرب كلٌّ يقتدي
كانوا أقلَّ تكلفا في أمرهم ... فالكل دوماً بالتحية يبتدي
يستغفرون الربَّ في يقَظاتِهمْ ... عند الهجوع تراهمُ من سُجَّدِ
لم يبخلوا بنفيسهم ورخيصهم ... كلٌّ به في الله فيمن يفتدي
لو لم يكونوا ما وجدنا ديننا ... بضيائهم في الكون حقًّا نهتدي
في الفتح والأنفال والإنسان وال ... آياتِ ذكرُ صحابةٍ لمحمدِ
يا شاتمَ الأصحابِ كيف تسُبّهمْ ... اِرجِعْ و إلا فالمذلةَ ترتدي
تبًّا لمن يهجوهمُ بلسانه ... وفِعالِه عمْدًا عليهم يعتدي
لا يحقد الأصحابَ إلا فاسقٌ ... ويُجِلّهم بالحب كلّ موحدِ
النيل من عرض الصحابة مُوضِحٌ ... نهجَ الروافض والحَسُود المفسدِ
ويُعدِّلُ الأسلافُ جَمْعَ صحابةٍ ... ما سبَّهم إلا خبيثُ المقصِدِ

---

* معلم في مدرسة الجامعة الإسلامية شنكرفوربيهار، الهند.

الأحداث

بقلم: شا هد محمود

ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

النشرة الإخبارية لمؤسسة "المورد أمريكا"

(سبتمبر ٢٠٢٥م)

حفل جائزة الإنجاز مدى الحياة تكريمًا للدكتور شهزاد سليم

أقيم الشهر الماضي في مركز غامدي حفل خاص لمنح جائزة الإنجاز مدى الحياة تكريمًا للعالِم البارز في "المورد أمريكا" الدكتور شهزاد سليم تقديرًا لجهوده العلمية والدعوية الممتدة على مدار ٣٧ عامًا. أدار الحفل باقتدار مدير البحوث والاتصال بالمركز الأستاذ حسن إلياس. وقد شارك في المناسبة حضوريًا وعبر الإنترنت الأستاذ غامدي، وعدد من العلماء في "المورد أمريكا"، إضافةً إلى أصدقاء قدامى للدكتور شهزاد، حيث عبّروا عن آرائهم حول خصاله العلمية والفكرية والشخصية. تسجيل الحفل متاح على قناة مركز غامدي في يوتيوب.

"التطبيقات الاجتهادية"

في إطار سلسلة الفيديوهات الجارية حول ٢٣ اعتراضًا، بدأ المركز موضوعًا جديدًا بعنوان "التطبيقات الاجتهادية"، حيث تُعرض اجتهادات الأستاذ غامدي السابقة وما وُجه إليها من انتقادات. وقد خُصصت جلسات أغسطس ٢٠٢٥ لمناقشة اجتهاداته في باب الزكاة و الطلاق. التسجيلات متوفرة على قناة المركز في يوتيوب.

فيلم وثائقي عن مولانا أبو الكلام آزاد

أُنجز في أغسطس ٢٠٢٥ فيلم وثائقي شامل عن حياة مولانا أبو الكلام آزاد

مدته ساعة وخمس وثلاثون دقيقة. قام بالبحث وكتابة السيناريو الباحث نعيم أحمد بلوش، حيث تناول بالتفصيل مسيرة المولانا الحياتية، مع إبراز الظروف السياسية والاجتماعية والدينية لعصره. أشرف على العمل الأستاذ حسن إلياس، وأدّت فريق المركز مهمة الإخراج والغرافيكس لتقديمه في صورة عمل فني خالد، بصوت المعلّق خالد سيد. الوثائقي بعنوان: "*مولانا أبو الكلام آزاد: متاع مفقود*" وهو متاح على قناة يوتيوب الخاصة بالمركز.

"سلسلة الفلسفة"

أطلق المركز سلسلة علمية جديدة بعنوان "الفلسفة"، تتناول المفاهيم الأساسية للفلسفة، أبعادها العملية، المقارنة بين الفلسفة الشرقية والغربية، ودورها في السياق الديني والعلمي. السلسلة أُعدت بصيغة صوتية مع جرافيكس ورسوم متحركة لعرضها بشكل جذاب ومؤثر. يقدمها الأستاذ حسن إلياس ويشارك ضيفًا فيها الأستاذ جاويد أحمد غامدي. تُعرض تباعًا على قناة يوتيوب.

"قصة حياة الدكتور شهزاد سليم"

أجرى الأستاذ حسن إلياس في أغسطس ٢٠٢٥ حوارًا تفصيليًا مع الدكتور شهزاد سليم، حيث تحدّث الأخير عن رحلته العلمية والفكرية، وظروف لقائه الأول بالأستاذ غامدي، وخلفيته العائلية، وأبرز محطات حياته الخاصة والعلمية. كما تطرّق إلى التحديات والصعوبات التي واجهها. التسجيل متاح على قناة يوتيوب للمركز.

"بدعة تحريم الحلال"

كتب الأستاذ منظور الحسن مقالًا يوضح فيه أن تحريم الحلال أو تحليل الحرام افتراء على الله، وهو أمر حذّر منه القرآن بشدة، معتبرًا إياه بدعة وشكلًا من أشكال التشريع البشري المنحرف. المقال منشور في مجلة *إشراق أمريكا* (أغسطس ٢٠٢٥)

"صوت البحث"

في إطار الندوات البحثية الإلكترونية "Voice of Research"، نُوقشت في الشهر الماضي موضوعان:

١- "هل القرآن كتاب علمي؟ :"قدّم فيه الدكتور سلمان أحمد شيخ رؤى حول "ذكاء الإنسان مقابل الذكاء الاصطناعي"، "هل يشير القرآن إلى الحوسبة؟"، "هل الذكاء الاصطناعي عمل شيطاني؟"، و"هل يمكن أن

يتفوّق ذكاء الكمبيوتر على الإنسان؟."

٢- "غزة: امتحان للأمة الإسلامية: "قدّم الدكتور محمد غطريف شهباز الندوي رؤيته حول الوضع الراهن، مبرزًا أن "صمت العالم الإسلامي دليل إفلاس أخلاقي"، وأن الضمير الإنساني الذي طالما نناشده قد مات في غزة وأن المؤسسات الدولية قد فشلت تماما أمام الغطرسة الإسرائيلية الوقحة ومساعدة أمريكا اللامشروطة واللانهائية لها، وأن "المشكلة ليست في قلة الموارد لدى العالم الإسلامي بل في غياب القيادة والإرادة السياسية"، مع الدعوة إلى "اليقظة ووضع استراتيجيات عملية."

التسجيلات متاحة على قناة يوتيوب للمركز.

اسئل غامدي

شهدت الجلسة الأخيرة من سلسلة اسئل غامدي عبر الإنترنت مناقشة أسئلة مثل:

١- هل الإيمان اللاواعي شرط لدخول الجنة؟

٢- هل يمكن تحميل المرأة مسؤولية النفقة؟

٣- لماذا ورد ذكر الحور العين البيض فقط في القرآن؟

٤- هل يجوز للدولة هدم مسجد؟

التسجيلات متاحة على قناة يوتيوب للمركز.

الدروس الأسبوعية في القرآن والحديث

في أغسطس ٢٠٢٥، تناول الأستاذ غامدي في دروسه التفسيرية سور: الأنبياء (٨٧-١١٢) و الحج(١-٢٠). ومن أبرز النقاط التي ناقشها:

١- إعلان الرسول ﷺ البراءة من الحاكم الظالم والمنافق.

٢- ما هو الإيمان؟

٣- الإفراط في العبادات.

٤- إثم هجر الزوجة.

التسجيلات متاحة على قناة المركز في يوتيوب.

جناح الكتب في مؤتمر اسنا

شارك مركز غامدي الشهر الماضي في الاجتماع السنوي الـ٦٢ لـ اسنا في أمريكا،

حيث أقام جناحًا خاصًا عرضت فيه كتب الأستاذ غامدي وعلماء المركز، وشهد إقبالًا واسعًا من الزوار.

"مولانا سيد أبو الأعلى المودودي: مفكر صانع للعصر"

كتب الأستاذ محمد حسن إلياس مقالًا تحليليًا عن شخصية المودودي، معتبرًا إياه من أعظم مفكري القرن العشرين الذين أعادوا تقديم الإسلام كـ نظام حياة شامل. وقدّم قراءة جديدة للمصطلحات الإسلامية، وحوارًا مع العصر بروح اجتهادية، ومساهمة في بلورة الفكر الإسلامي على المستويات اللغوية والمنهجية والحضارية. المقال منشور في *إشراق أمريكا* (أغسطس ٢٠٢٥).

سلسلة "تفهيم الآثار"

ناقشت الجلسات الأخيرة من هذه السلسلة موضوعات بارزة منها:

١- خلافة سيدنا علي رضي الله عنه – الموقف السياسي لمعاوية رضي الله عنه.

٢- ولاية العهد ليزيد – الموقف السياسي لمعاوية.

٣- صراعات العصبيات في قريش.

٤- استشهاد عثمان رضي الله عنه وبداية مرحلة التغلب.

٥- حركات الخروج في عهد يزيد.

التسجيلات متوفرة على قناة يوتيوب.

"تقرير منير كياني وبيان الشيخ أمين أحسن الإصلاحي"

كتب الأستاذ نعيم أحمد بلوش في سلسلة *حياة أمين* (أغسطس ٢٠٢٥) عن تقرير لجنة التحقيق في أحداث ١٩٥٣ برئاسة القاضي منير أحمد والقاضي محمد رستم كياني، حيث حُمّلت حركة مجلس الأحرار المسؤولية، ووُصف تدخل الدين في السياسة بأنه خطر على أمن الدولة. كما أبرز البيان الذي قدّمه مولانا إصلاحي عن الفرق بين "المسلم السياسي" و"المسلم الحقيقي"، مؤكدًا أن الأخير هو من يلتزم بجميع أوامر الله ورسوله ﷺ على حقيقتها.

"سؤال وجواب مع حسن إلياس"

يواصل الأستاذ محمد حسن إلياس برنامجه على قناة" المسلم المعاصر " بعنوان اسئل حسن إلياس، وهو برنامج حواري يجيب فيه عن أسئلة دينية وفكرية. في

حلقات أغسطس ٢٠٢٥ نوقشت موضوعات مثل:

١- هل المعجزات ما زالت تقع اليوم؟

٢- منهج أحمد رضا خان في العقيدة.

٣- لماذا أحرق أبو بكر رضي الله عنه بعض الأحاديث؟

٤- ظاهرة تكفير الآخرين واتهامهم بالزندقة.

الحلقات متاحة على قناة المركز في يوتيوب.

الخانقاه الإلكترونية

ناقشت جلسات الخانقاه الإلكترونية الشهر الماضي موضوعات مثل:

١- الخوف من التحدث مع الأقربين.

٢- إرضاء الناس أم التمسك بالمبادئ؟

٣- المفاضلة بين الحق والخير.

٤- التسرع في اتخاذ القرارات.

التسجيلات متوفرة على قناة المركز.

"حلقة الدراسات الإسلامية"

قدّم الدكتور شهزاد سليم في برنامج حلقة الدراسات الإسلامية (بالإنجليزية) موضوعات:

١- ذكر الله.

٢- الأخلاق الحسنة.

٣- احفظ قلبك. كما ختم الجلسة بحديث عن "عدّ النعم."

التسجيل متاح على قناة يوتيوب.

"الإيمان والعقائد"

في إطار سلسلة محاضرات *ميزان* بالإنجليزية، واصل الدكتور شهزاد سليم شرح كتاب *"الميزان"* للأستاذ غامدي. سجّل الشهر الماضي محاضرتين حول الإيمان والعقائد. التسجيلات متوفرة على قناة المركز.

"العلم والحكمة مع غامدي"

برنامج أسبوعي يبث منذ سنوات على قناة Dunya News دنيا نيوز الباكستانية، يُسجّل في دالاس ويقدمه الأستاذ حسن إلياس. في أغسطس ٢٠٢٥، نُشرت ثلاث حلقات

بعنوان "تاريخ صعود وهبوط الأمة الإسلامية"، وحلقة بعنوان "خطة خمسية لبقاء الأمة الإسلامية – مراجعة نقدية. "التسجيلات متاحة على قناة المركز في يوتيوب.

الجلسات الاستشارية الخاصة للدكتور شهزاد سليم

يعقد الدكتور شهزاد سليم جلسات استشارية خاصة عبر الإنترنت كل شهر، حيث يستشير الناسُ في قضاياهم الشخصية والأسرية. وخلال الشهر الماضي نُظّمت أكثر من ٣٠ جلسة من هذا النوع، ناقش فيها الناس مشكلات الآباء والتحديات التي يواجهها المراهقون وطلبوا التوجيه في حلّها.

إصدار الفتاوى المبنية على الرأي الشرعي

يتواصل الناس غالبًا مع مركز غامدي للتعلّم الإسلامي – المورد أمريكا طلبًا لآراء تطبيقية متعلقة بالأحكام الشرعية، خصوصًا في مسائل الزواج والطلاق والميراث وبعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية الأخرى. وخلال الشهر الماضي أُصدرت عدة فتاوى من هذا النوع على ضوء فكر الأستاذ جاويد أحمد غامدي، وقد تولاها الأستاذ حسن إلياس.

جلسة: اسئل الدكتور شهزاد سليم

يعقد الدكتور شهزاد سليم كل شهر جلسة مباشرة للأسئلة والأجوبة، يجيب فيها عن تساؤلات الناس حول مختلف الموضوعات الدينية والأخلاقية والاجتماعية. ويستطيع المشاركون طرح أسئلتهم باللغتين: الأردية والإنجليزية. وتُتاح تسجيلات هذه الجلسات على قناة المركز في يوتيوب.

تدريس تفسير "البيان" باللغة الإنجليزية

يقوم الدكتور شهزاد سليم بتدريس تفسير الأستاذ غامدي "البيان" باللغة الإنجليزية، ليتمكّن الناطقون بالإنجليزية من الاستفادة منه. وفي أغسطس ٢٠٢٥، ألقى دروسًا في تفسير سورة الأنعام، من الآية ٥٦ إلى الآية ٩٢. وتتوفر تسجيلات هذه الدروس على قناة المركز في يوتيوب.